جامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

المجـــلة العلميـــة

أسلوب القصر وأثره في ترسيخ العقيدة

دراسة بلاغية " آيات التوحيد أنموذجاً "

إعداد

د/عبد الرحيم إبراهيم عبدالرحيم محمد

مدرس البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

(العدد العشرون ٢٠٢٣م)

أسلوب القصر وأثره في ترسيخ العقيدة دراسة بلاغية " آيات التوحيد أنموذجاً "

عبد الرحيم إبراهيم عبد الرحيم محمد
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بقنا، جامعة الأزهر، قنا، مصر.
البريد الإلكتروني: AbdelRahimMohamed.4119@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

أظهر البحث أهمية البلاغة العربية في ترسيخ العقيدة الدينية، وقد اتخذت البلاغة العربية من أسلوب القصر في آيات التوحيد أنموذجًا؛ لتحقيق هذه الغاية، وقد زاوجت هذه الدراسة بين أسلوب القصر ومدى موافقته للسياق في الكشف عن التوحيد وقطع الشرك عنه سبحانه.

وقد استخدم التعبير القرآني القصر حينما أراد إثبات حكم ما لموصوف معين، ونفيه عما عداه، فقد يقصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا، حيث لا يتصف بهذه الصفة إلا ذلك الموصوف دون غيره

وكان التعبير بالقصر أداة هامة في ترسيخ المعاني الإيمانية في النفوس، ودفع الوساوس والشكوك، فكان التجاوب والمشاركة من السامع، قد خلص به إلى ربوبية الخالق ــ سبحانه ــ وسيطرته على مخلوقاته وقطع الشرك.

وجاءت الآيات المشتملة على التوحيد متآزرة مع أسلوب القصر في ثبوت التفرد له ــ سبحانه ــ بالعبودية، ونفي التعدد عنه، فكان التلاحم والترابط بين آيات التوحيد، وطرق القصر حجة على المنكر والمعاند، وترسيخًا وإقرارًا لثبوت العقيدة عند المؤمن والمتجاوب.

هذا، وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، أما المقدمة، فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والتمهيد جاء

على محورين، المحور الأول، بيان معاني مفـردات العنـوان، والمحـور الثـاني، دور البلاغة العربية في ترسيخ العقيدة الدينية من خلال أدواتها وفنونها.

وجاء المبحث الأول، مظهرًا أثر أسلوب القصر في توحيد الألوهية، والمبحـث الثـاني كاشفًا عن أثر أسلوب القصر في توحيد الربوبية، والمبحث الثالث موضحًا أثر أسـلوب القصر في توحيد الأسماء والصفات، ثم الخاتمة، ذكرت فيها أهـم نتـائج البحـث، ثـم المصادر، ثم الفهارس اللازمة .

وتوصلت الدراسة لعدة نتائج منها: التعبير بجملة القصر، كشـف للسـامع تخصـيص الإيجاد الأزلي وحكمته ــ تعالى ــ في صورة بديعة، تجعل السامع يقارن ويشاهد هـذا الملكوت من السماوات والأرض، الليل والنهار، فهذه الأشياء دالة علـى الوجـود بـلا أولية؛ لأنه لو كان معدومًا لاستحال منه الإيجاد لهذه المكونات.

الكلمات المفتاحية: أسلوب القصر، ترسيخ العقيدة، دراسة بلاغية، آيات التوحيد، ثبوت العقيدة.

The style of restriction and its effect in consolidating belief, a rhetorical study

"The verses of monotheism as an example"

Abdul Rahim Ibrahim Abdul Rahim Muhammad
Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena, Al-Azhar University, Qena, Egypt.
Email: AbdelRahimMohamed.4119@azhar.edu.eg

Abstract:

The research showed the importance of Arabic rhetoric in consolidating religious belief. Arabic rhetoric took the method of restricting the verses of monotheism as a model. To achieve this goal, this study has combined the style of restricting and the extent to which it agrees with the context in revealing monotheism and cutting polytheism from Him, Glory be to Him.

The Qur'anic expression used this to confirm a certain ruling for a specific being described, and to negate it from anything else. It may limit an attribute to a specific being described in a real way, since only that being described is characterized by this attribute and no one else.

This was an important tool in consolidating the meanings of faith in souls, and repelling obsessions and doubts. The response and participation of the listener led to the conclusion of the Lordship of the Creator - Glory be to Him -

and His control over His creatures and the cessation of polytheism.

The verses containing monotheism came together with the method of limitation in proving the uniqueness of Him - Glory be to Him - through servitude, and denying pluralism from Him, so the cohesion and interconnectedness between the verses of monotheism and the methods of limitation was an argument against the denier and the recalcitrant, and a consolidation and confirmation of the steadfastness of the belief in the believer and the respondent.

The research included an introduction, a preface, three sections, and a conclusion. As for the introduction, I talked about the importance of the topic, the reasons for choosing it, and previous studies. The introduction included two axes: the first axis, explaining the meanings of the title's vocabulary, and the second axis, the role of Arabic rhetoric. In consolidating religious faith through its tools and arts.
The first section showed the effect of the method of restriction in unifying divinity, the second section revealed the effect of the method of restriction in uniting divinity, and the third section explained the effect of the method of restriction in uniting names and attributes, then the conclusion, in which I mentioned the most important results of the research, then the sources, then the necessary indexes.

The study reached several results, including: Using this style of expressing , revealed to the listener the specification of eternal existence and His wisdom - the Almighty - in a wonderful form, making the listener compare and witness this kingdom of the heavens and the earth, night and day, as these things indicate existence without priority; Because if it were non-existent, it would be impossible to find these components.

Keywords: Restrictive style, Consolidation of belief, Rhetorical study, Verses of monotheism, Confirmation of belief.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل القرآن، خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على خير بنى عدنان، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أما بعد ،،،

فإن القرآن الكريم عطاياه لا تنفد، وأسراره لا تنتهي، يأخذ منها كل باحث وطالب على قدر ما أتاه الله من علم وبصيرة، وهو أعظم ما يبحث فيه عن أسرار الإعجاز، ومواطن الجمال؛ لأن عجائبه لا تنتهي، ومنابعه لا تتوقف إلى يوم القيامة، وما من حسن نظم وجودة سبك إلا وللقرآن العظيم المكان الأول والحظ الأوفر عليه .

ولهذا البحث الموجز غاية سيصل إليها ــ إن شاء الله ــ وهذه الغاية هي أهمية البلاغة العربية في ترسيخ العقيدة الدينية، وقد اتخذت البلاغة العربية من أسلوب القصر في آيات التوحيد أنموذجًا؛ لتحقيق هذه الغاية، وقد زاوجت هذه الدراسة بين أسلوب القصر ومدى موافقته للسياق في الكشف عن التوحيد وقطع الشرك عنه ــ سبحانه ــ لذا كان عنوان البحث: (أسلوب القصر وأثره في ترسيخ العقيدة، دراسة بلاغية،آيات التوحيد أنموذجًا)، ويأتي هذا البحث في زمن كثر فيه الهجوم على كل ما هو إسلامي، ولم تسلم البلاغة العربية من الهجوم، فقالوا عنها أنها يونانية الأب والأم، واللحم والدم، وتارة يدعون أنها هندية الخال والعم، وثالثة يتقولون عليها بأنها فارسية الكيف والكم، وفريق آخر يتهم رجالها، بأنهم لا يملكون الفهم ويعيشون في الوهم[1]، وما نقموا إلا أنها خادمة للقرآن الكريم، تعين على فهم أسراره وأحكامه.

(١) ينظر: البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية للدكتور/ فضل حسن عباس (ص١٧١)، ط٢، دار الفرقان، ١٤٢٠هـ/١٩٩م.

وهذا البحث سيسعى ــ مستعينًا بالله ــ لبيان أهمية البلاغة العربية ومكانتها في ترسيخ العقيدة الدينية وتوحيد الإله المعبود، ونفي الشرك، من خلال أسلوب القصر، وما يحمله من دلالات لفظية، ومعنوية تسهم في إثبات حكمٍ لمذكور ونفيه عما عداه.

وقد سبقت هذه الدراسة بدراسات كثيرة، اهتمت بالقضايا البلاغية، ودورها في الحفاظ على الهوية الإسلامية، فمن هذه الدراسات :

١- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية للدكتور/صباح عبيد دراز، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م[١].

٢- القصر وتجلياته في البلاغة القرآنية لمصطفى رجب الخمري، مجلة كلية التربية، الجامعة الأسمرية، ليبيا، العدد (٣)، عدد الصفحات (٢٢)، عام ٢٠١٧م[٢].

٣- آيات التوحيد في القرآن الكريم دراسة لغوية بيانية، رسالة (دكتوراه) لمحمد فاروق صبحي أبو حلاوة، إشراف/عمايرة إسماعيل أحمد، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الرقم الجامعي (٥٥٥٥٩٧)، عام ٢٠١١م[٣].

---

(١) تحدث أ.د/صباح عبيد دراز، في هذا الكتاب عن القصر وطرقه، ومنابعه، وتقسيماته، وبعض القضايا القرآنية التي شملها القصر، كالرزق والغيب، و(لا إله إلا الله) والإيجاز، ودعوة سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ وأساليب القصر، والحياة الدنيا وأساليب القصر والتشبيه، وبعض آيات النعيم والعذاب، وفكرة المخاطب في التراث البلاغي، والقصر والإمام عبدالقاهر ...إلخ.

(٢) اشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وخاتمة، وثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول، تفاوت طرق القصر في دلالة التقديم ومقاماته، وبين إنما والنفي والاستثناء، وتناول المبحث الثاني، القصر بالتعريف، وضمير الفصل، والمبحث الثالث تناول العطف (بلا، بل، لكن) .

(٣) اشتملت هذه الرسالة على خمسة فصول، تناول الفصل الأول، تعريف التوحيد وأقسامه ... إلخ، وتناول الفصل الثاني، الأساليب التعبيرية في آيات التوحيد، كالقصر، الاستفهام، الأمر، الشرط، النداء ...إلخ، وتناول الفصل الثالث، المستويان النحوي والصرفي في آيات التوحيد، وتناول الفصل الرابع، التوحيد على المستوى الدلالي والنفسي، و تناول الفصل الخامس، التوحيد على المستوى اللغوي والبياني.

٤- التراكيب البلاغية والمعنى العقدي في تفسير آيات التوحيد: دراسة في التفسير الكبير للفخر الرازي لتعيلب أيمن إبراهيم، ومحمود أسامة عبداللاه وآخرون، مجلة كلية الآداب، جامعة السويس، العدد (٢٠)، عدد الصفحات (٣٨)، رقم (١١٣١٩٥٣)، عام ٢٠٢٠م[١].

٥- خصائص التراكيب في آيات الاعتقاد وأثرها في تقرير المعنى: دراسة بلاغية تحليلية، للدكتور: علي محمد آل نومة القطحاني، أستاذ البلاغة والنقد المساعد بجامعة الملك خالد، عدد الصفحات (٥١٢)، ط١، دار العقيدة للنشر والتوزيع، السعودية، الرياض، ٢٠٢١م [٢].

هذا، وقد اتضح الفرق بين الدراسات السابقة، وموضوع البحث، فلم يدرس أحد منها أسلوب القصر في آيات التوحيد ومدى تأثيره في تصحيح العقيدة، وتنبيه المخاطب، وقلب اعتقاده، وإثارة انتباهه، بدراسة منفردة.

---

(١) اشتمل هذا البحث على تمهيد، ومبحثين، تناول التمهيد ترجمة للإمام الفخر الرازي ــ رحمه الله ــ وتفسيره، وتناول المبحث الأول، توجيه الفخر الرازي لبعض الآيات التي تتعلق بمعرفة الله ــ تعالى ــ وكيف يصل العبد إلى زيادة المعرفة بربه ــ تعالى ــ و أشار المبحث الثاني إلى كيفية توجيه الفخر الرازي لبعض الآيات التي تتعلق بإخلاص العبادة لله ــ تعالى ــ ووجوب خلوها عن الشرك والرياء.

(٢) تحدث الكاتب في كتابه عن أسلوب القصر في الفصل الثاني، الذي حمل عنوان (خصائص الجملة في آيات العقيدة)، وجعله ثلاثة مباحث: (التوكيد، القصر، الحذف)، وكانت طبيعة الدراسة في آيات العقيدة كإثبات الأسماء والصفات، والشفاعة، والبعث، والإيمان ...إلخ، وكان الكاتب يستدل على قضايا الاعتقاد من المنقول والمعقول، وذكر مصنفات الأئمة، فإن كان لأهل التأويل فيها كلامًا واستعملوا فيها البلاغة في التأويل والنفي، أتى الكاتب بهذه الاستدلالات وناقش رأيهم، وقال إن هذه الآيات لا تفي بغرضهم لا نفيًا ولا تأويلًا، بل إن ما يعتقده أهل السنة والجماعة في هذا الباب هو الذي تدل عليه هذه الآيات.

وقد بني البحث على مقدمة موجزة تبين أهمية البحث ومنزلته بين الدراسات المناظرة، وخطته ومنهجه، ثم التمهيد، وقد جاء على محورين:

المحور الأول: بيان معاني مفردات العنوان.

المحور الثاني: دور البلاغة العربية في ترسيخ العقيدة الدينية من خلال أدواتها وفنونها.

وقد اقتضى المقام أن ينهض البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر أسلوب القصر في تنبيه المخاطب على الخطأ وقلب الاعتقاد.

المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب.

المبحث الثالث: أثر أسلوب القصر في تصحيح وتثبيت عقيدة المخاطب.

ثم بخاتمة بها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم أهم المصادر والمراجع.

وقد اصطفت هذه الدراسة، المنهج الانتقائي الذي يقوم على اختيار آيات الدراسة وفق أمورٍ أهمها:

١- استقراء واختيار آيات التوحيد المشتملة على أسلوب القصر، وتوزيعها حسب خطة البحث، وتحليلها تحليلًا بلاغيًا، يبرز مدى أهمية أثر أسلوب القصر في ترسيخ العقيدة، وإبطال عقيدة الشرك.

٢- اختيار الآيات التي تدل على مدى تأثير أسلوب القصر على عقيدة المخاطب، سواء كان تصحيحًا لخطئه، أم قلبًا لاعتقاده، وهذا يكون في آيات التوحيد التي جاءت ــ غالبًا ــ ردًا على النصارى، وكفار مكة، فيختار البحث بعض المواضع التي تدل على غيرها؛ تجلية للمراد، وإظهارًا لبلاغة القصر في تصحيح الخطأ، وقلب الاعتقاد، وثبوت العبودية للمعبود الواحد.

٣- اختيار بعض الآيات التي أسهم أسلوب القصر فيها تنبيهًا وإيقاظًا للمخاطب في تقرير ورسوخ العقيدة في نفسه وقلبه، وهذا يكون في الأشياء المحسوسة، وأفعال يوم القيامة، وهذا كثير في القرآن الكريم، فيختار البحث بعض الآيات التي جاءت

بأسلوب القصر، ودلت على صنع الخالق ــ سبحانه ــ لهذه الأشياء وعلمه بها دون غيره، كخلق السماوات والأرض، والليل والنهار، والإنسان ولونه ولغته، واختصاصه ــ تعالى ــ بعلم قيام الساعة...إلخ.

٤- اختيار بعض الآيات التي تدل على تصحيح العقيدة في نفس المخاطب، وثبوت الوحدانية للخالق ــ سبحانه ــ مراعاة للمقام وإيفاءً للغرض(١).

٥- عزو الآيات إلى سورها من المصحف الشريف مع بيان اسم السورة ورقم الآية.

٦- بيان القيمة البلاغية لأسلوب القصر وأثرها على السامع، وإظهار دور السياق في اصطفاء الأساليب.

٧- ذكر أسباب النزول في بعض الآيات؛ إذا توقف فهم المراد من التعبير القرآني عليها.

٨- النظر والتطلع إلى السياق العام للآية محل الشاهد؛ حتى يتم الوصول إلى المراد من التعبير القرآني بأسلوب القصر.

٩- عند اشتمال الآيات ــ محل الدراسة ــ على طريق واحد من طرق القصر، أقوم بتحليلها مجملة؛ تجنبًا للتكرار، ثم أفصل كل آية على حدة لبيان سياقها ومدى مناسبة اصطفاء أسلوب القصر لها.

١٠- الاهتمام بضبط الكلمات المهمة، وترجمة الأعلام غير المشهورين.

---

(١) الآيات التي وردت بأسلوب القصر في تصحيح العقيدة وثبوتها عند المخاطب، من الصعوبة بمكان أن تحصر، فقد وردت صيغة واحدة منها، كقوله تعالى: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، بالنفي والاستثناء في تسعة وعشرين موضعًا في القرآن الكريم؛ لهذا آثرت منهج الاختيار والانتقاء. المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

تمهيد

وقد جاء على محورين :

المحور الأول

بيان معاني مفردات العنوان

(أسلوب القصر وأثره في ترسيخ العقيدة، دراسة بلاغية، آيات التوحيد أنموذجًا)

الأسلوب: لغة: " الطَّرِيقُ، والوجهُ" [١].

واصطلاحًا: هو " طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه"[٢].

والقصر: لغة: "الحَبْسُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيَامِ) [٣]، أَي: مَحْبُوسَاتٌ فِي خِيَامٍ مِنَ الدُّرِّ مُخَدَّرات عَلَى أَزواجهن فِي الْجَنَّاتِ"[٤].

واصطلاحًا: هو تخصيص الشيء بالشيء بطريق مخصوص[٥]، وطرق القصر والاختصاص كثيرة أشهرها ستة [٦]:

---

(١) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، مادة (س ل ب)، (٤/٤٧٣)، ط٣، دار صادر، بيروت (١٤١٤هـ).

(٢) الأسلوب لأحمد الشايب (ص٤٤)، ط١٢، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٣م.

(٣) سورة الرحمن، الآية (٧٢).

(٤) لسان العرب، مادة (ق ص ر)، (٥/٩٩).

(٥) كتاب التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحيق وضبط/جماعة من العلماء بإشراف الناشر(ص١٧٦)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٦) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن المشهور بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ)، تح/ محمد عبد المنعم خفاجي (٣/٤ـ٥٠)، ط٣، دار الجيل، بيروت، وعلوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع" لأحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، (ص١٥١)، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

١_ العطف كقولك: زيد شاعر لا كاتب.

٢- النفي والاستثناء، كقوله تعالى: (وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلَّـا اللَّـهُ وَإِنَّ اللَّـهَ لَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ)(١).

٣- إنما، كقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (٢).

٤- التقديم، كقوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (٣).

٥- توسط ضمير الفصل نحوقولك: كليم الله هو موسى.

٦- تعريف المسند بأل نحو: خير الزاد التقوى .

(وأثره في ترسيخ العقيدة):

الأثر: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء(٤)، وترسيخ العقيدة يعني استقرارها وثبوتها في النفس، يقال: " رَسَخَ الشيءُ يَرْسَخُ رُسُوخًا: ثَبَتَ فِي مَوْضِعِهِ" (٥).

و(آيات التوحيد): هي الآيات المشتملة على توحيد الخالق ــ سبحانه تعالى ــ بأسلوب القصر.

والتوحيد لغة: هو الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد، واصطلاحًا: هو تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان(٦).

(١) سورة آل عمران، من الآية (٦٢).

(٢) سورة ص، الآية (٦٥).

(٣) سورة الفاتحة، الآية (٥).

(٤) ينظر: التعريفات للجرجاني (ص٩).

(٥) لسان العرب، مادة (ر س خ)، (١٨/٣).

(٦) ينظر: التعريفات (ص٦٩).

هـذا، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تظهر أثر القصر على المخاطب في رسوخ العقيدة، وتوحيد الإله المعبود، ونفي الشريك، وهذه الآيات يصعب حصرها؛ لـــذا اكتفيت بما تم اختياره للدراسة في الجدول التالي:

الآيـــة	اسم السورة / رقم الآية	أثر القصر
(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)	الفاتحة/٥	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)	البقرة/١٠٧، المائدة/٤٠	إثارة انتباه المخاطب
(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)	البقرة/١٦٣، الرعد/٣٠، طه/ ٩٨، غافر/٥٦، ٦٢	تصحيح وتثبيت
(وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)	البقرة/ ١٧٢	إثارة انتباه المخاطب
(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)	البقرة/٢٥٥	تصحيح وتثبيت
(وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ)	آل عمران/٦٢، /٦٥	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ)	النساء/١٧١	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ)	المائدة/٧٣	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ)	المائدة/١٢٠	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ)	الأنعام/١٩	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده

الآيــة	اسم السورة / رقم الآية	أثر القصر
(قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ)	الأنعام/ ١٦٤	تصحيح وتثبيت
(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)	الأعراف/٥٤	إثارة انتباه المخاطب
(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)	الأعراف/١٥٨	إثارة انتباه المخاطب
(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)	الأعراف/١٨٠	إثارة انتباه المخاطب
(إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ)	التوبة/١١٦	إثارة انتباه المخاطب
(مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ)	يونس/٥	إثارة انتباه المخاطب
(مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ)	هود/٢، فصلت/١٤، الأحقاف/٢١	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ)	الرعد/٣٠	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ)	إبراهيم/٥٢	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ)	الحجر/٨٥	إثارة انتباه المخاطب
(إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)	النحل/٥١	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)	الإسراء/١٠٢	إثارة انتباه المخاطب

الآيــة	اسم السورة / رقم الآية	أثر القصر
(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)	الكهف/١١٠	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا)	طه/٩٨	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)	الأنبياء/١٠٨	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)	الفرقان/٢	إثارة انتباه المخاطب
(يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)	العنكبوت/ ٥٦	تصحيح وتثبيت
(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ)	الروم/٢٢	إثارة انتباه المخاطب
(مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ)	لقمان/٢٨	إثارة انتباه المخاطب
(وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)	يس/ ٢٢	تصحيح وتثبيت
(قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ)	ص/٦٥	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)	الزمر/٤٤	إثارة انتباه المخاطب
(بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)	الزمر/٦٦	تصحيح وتثبيت
(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ)	فصلت/٦	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ)	فصلت/٤٧	إثارة انتباه المخاطب

الآيــة	اسم السورة / رقم الآية	أثر القصر
(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ)	الشورى/٢٩	إثارة انتباه المخاطب
(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ)	الشورى/٤٩	إثارة انتباه المخاطب
(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)	الشورى/٥١	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)	الزخرف/٦٤	تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده
(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ)	الزخرف/ ٨٤	تصحيح وتثبيت
(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ)	الدخان/٣٨، ٣٩	إثارة انتباه المخاطب
(مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى)	الأحقاف/٣	إثارة انتباه المخاطب
(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)	الذاريات/٥٦	تصحيح وتثبيت
(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)	الذاريات/٥٨	إثارة انتباه المخاطب
(وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) ... وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى)	النجم/٤٣، ٤٤، ٤٨، ٤٩	إثارة انتباه المخاطب
(وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)	المدثر/٣	تصحيح وتثبيت

هذا، وقد ظهر من الجدول السابق ــ وفي القرآن عمومًا ــ أن الآيات التي جاء أسلوب القصر فيها مثيرًا لانتباه المخاطب أكثر من غيرها، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أمور منها:

- أن الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ يريد تقرير المخاطب بالعبودية ونفي الشريك من قبل نفسه، وهذا أعظم تأثيرًا وإفادة لجميع الخلق.
- أن إثارة المخاطب بالمحسوسات كخلق السماوات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار...إلخ، أقر وأوقع في النفس بالتسليم والإذعان، كما أن هذا التعبير يخلق نوعًا من التجاوب والتجاذب، فتكون النتيجة أوقع وأسرع.

المحور الثاني

دور البلاغة العربية في ترسيخ العقيدة الدينية من خلال أدواتها وفنونها

يظهر دور البلاغة العربية وأهميتها إلى جملة من العلوم التي تخدم القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، فدراسة البلاغة العربية تأتي في مقدمة العلوم، فهي من " أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ ــ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه ــ علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذى به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحقّ، الهادى إلى سبيل الرّشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحّة النبوة، التى رفعت أعلام الحقّ، وأقامت منار الدّين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشكّ بيقينها" [(١)]، فعلم البلاغة ودراسته من أهم العلوم؛ لأنه يتعلق بإعجاز القرآن الكريم، وصدق رسالة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ودور البلاغة العربية في ترسيخ العقيدة لا ينكر وهو يتمثل في أسباب كثيرة من أهمها:

ــ أن معرفة القرآن الكريم وإعجازه من خلال ألفاظه وتراكيبه، وكونه من عندالله ــ وحده ــ يحتاج إلى معرفة علم البلاغة، قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)[(٢)].

ــ أن ثبوت القرآن الكريم من عند الله ــ سبحانه ــ يلزم تصديق الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في كل ما جاء به، وأن هذا القرآن هو كلام الله، وليس مخلوقًا، وإنما هو وحي من عند الله ــ تعالى ــ وهذا هو قلب العقيدة.

هذا، ويرجع أهمية علم البلاغة، خاصة علم (البيان والمعاني) في تفسير القرآن الكريم، وفهم المراد منه، فـ " إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر

---

(١) كتاب الصناعتين لأبي هلال الحسن العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تح/علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم (ص١) من المقدمة، ط، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٢) سورة النساء، الآية (٨٢).

الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذى علم ...، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القِرِّيَّةِ [1] أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان" [2]، ولا شك أن فهم تفسير القرآن الكريم واستنباط أحكامه، يحتاج إلى الوقوف على السياق ومعرفة قرآئن الأحوال، وهذا يحتاج إلى دارسة علم البلاغة.

وخذ مثالًا على ذلك من كتاب الله ــ تعالى ــ في قوله: (وَاسْأَلْهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا، وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ. كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[3]، " ابتدأ – جل ثناؤه – ذكر الأمر

(١) هو : أبو سليمان أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة بن سلمة بن جشم بن مالك، المعروف بابن القرية الهلالي، والقرية: جدته، واسمها جماعة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن الخزرج، كان أعرابياً أمياً، وهو معدود من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، مات سنة (٥٨٤). ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، تح/إحسان عباس (٢٥٠/١)، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، وسير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (ت : ٧٤٨هـ)، تح/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط (٣٤٦/٤)، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، (ص٢) من المقدمة، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٦٣).

بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: (إذ يعدون في السبت) ...، دل على أنه إنما أراد أهل القرية؛ لأن القرية لا تكون عادية، ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون " [1]، ولا شك أن ذلك يتطلب معرفة علوم البلاغة التي تتطلب مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

وكما أسهمت البلاغة العربية في الكشف عن إعجاز القرآن الكريم ومعرفة أسراره، أسهمت ــ أيضًا ــ في فهم البيان النبوي الشريف والوقوف على المراد منه، روى البخاري بسنده " عَنْ عَدِيٍّ، قَالَ: أَخَذَ عَدِيٌّ عِقَالًا أَبْيَضَ، وَعِقَالًا أَسْوَدَ حَتَّى كَانَ بَعْضُ اللَّيْلِ نَظَرَ فَلَمْ يَسْتَبِينَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: جَعَلْتُ تَحْتَ وِسَادِي عِقَالَيْنِ، قَالَ: إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ أَنْ كَانَ الخَيْطُ الأَبْيَضُ، وَالأَسْوَدُ تَحْتَ وِسَادَتِكَ"[2] ، فسيدنا عدي ــ رضي الله عنه ــ لم يكن يعرف استعارة البياض للصبح، ولا السواد لليل، وظن أن الغاية تنتهي بتمييز أحد الخيطين من الآخر، ولهذا "عرض النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قفا عدي لأنه غفل عن البيان، وتعريض القفا مما يستدل به على قلة الفطنة"[3]، وعدم معرفة كلام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يؤدي إلى الجهل وفساد العبادة؛ فلهذا ساهمت البلاغة العربية في ترسيخ العقيدة، ومعرفة المقاصد الشرعية على النحو المطلوب.

---

(١) الرسالة لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، تح/أحمد شاكر(ص٦٢)، ط، مكتبة الحلبي، مصر.

(٢) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تح/ محمد زهير، كتاب تفسير القرآن، باب وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، رقم (٤٥٠٩)، (٢٦/٦)، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، (٢٩٣/١٠)، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وعلى الجملة فإن البلاغة العربية أسهمت إسهامًا كبيرًا في ترسيخ العقيدة، ومقاصد العبادة كما أرادها الله ــ تعالى ــ ورسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن هنا بطلت دعوى المنكرين لقيمة البلاغة العربية، وأنها شاخت وهرمت، وصارت لا تواكب الحياة الأدبية، ولا تصلح للعصر الذي نعيش فيه، وأن رجالها لا يملكون الفهم، بل يعيشون على الوهم[1]، وهذا باطل وفاسد.

(١) ينظر: البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية(ص١٧١، ١٧٢).

المبحث الأول

أثر أسلوب القصر في تنبيه المخاطب على الخطأ، وقلب الاعتقاد

جاء أسلوب القصر مصححًا لخطأ المخاطب وأفكاره المغلوطة وقلب اعتقاده في آيات التوحيد؛ تأكيدًا على ترسيخ العقيدة في نفسه، وهدمًا لما يعتقده ويظنه، وتسليمًا لما يريده المتكلم من مضامين تقتضي التسليم والإيمان بها.

هذا، وقد جاء القصر في آيات الدراسة مبرزًا أهميته في الرد على المخاطب وإبطال دعواه، بما يضمن تسليمه وتوحيده للخالق ــ سبحانه ــ وقد كثر هذا النوع في القرآن الكريم في القصر الإضافي خاصة في مخاطبة كفار مكة والنصارى الذين يزعمون إنكار الإله تارة وتعددها تارة أخرى.

وقد جعل علماء البلاغة اعتقاد المخاطب أساسًا لتقسيم القصر الإضافي، فإذا كان المخاطب يعتقد الشركة بين المقصور عليه وما يقابله أي شركة صفتين في موصوف واحد، أو موصفين في صفة واحدة كان القصر لإفراد المقصور بالمقصور عليه ونفي ما يقابله، كقولك: (ما زيد إلا كاتب) لمن يعتقد أن زيدًا كاتب وشاعر، وقولك: (ما شاعر إلا زيد) لمن يعتقد أن (زيدًا) شاعر لكن يدعي أن عمرًا أيضًا شاعر، وهذا يسمى قصر إفراد، لقطعة الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف أو بين الموصوف وغيره في الاتصاف بالصفة[1] .

وإذا كان المخاطب يعتقد عكس ما يثبته المتكلم ويراه من صفة أو موصوف كقولك: (ما علي إلا مجتهدٌ) ردًا على من يعتقد بأنه كسول وهو قصر موصوف على

(١) ينظر: الإيضاح للخطيب(ت: ٧٣٩هـ)، تح/ محمد عبد المنعم خفاجي (١٤/٣)، ط٣، دار الجيل، بيروت، وأساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية للدكتور/صباح عبيد دراز(ص:٧٥،٧٦)، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ط١، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م

صفة، وكذلك قولك: (ما شاعر إلا محمد) ردًا على من يعتقد أن (أسامة) لا (أحمد) شاعر وهنا قصر صفة على موصوف، حينئذ يسمى القصر قصر قلب، لقلبه حكم المخاطب، وتبديله.

وإذا كان المخاطب مترددًا في إثبات الصفتين أو الموصفين أو أحدهما أوجزم بأحدهما وتردد في الأخر كقولك: (ما خالد إلا ناجح) ردًا على من تردد بين نجاح (خالد) أو رسوبه والقصر هنا قصر موصوف على صفة، وقولك: (إنما الناجح خالد) ردا على من تردد بين (ناصر) وغيره، وهنا قصر صفة على موصوف، يسمى قصر تعيين لتعيينه ما هو غير معين عند المخاطب[١] .

هذا، وقد ظهر أثر أسلوب القصر واضحًا في تنبيه المخاطب على الخطأ وقلب الاعتقاد في آيات كثيرة تظهر وحدانيتة ــ تعالى ــ على خلقه وانفراده بالعبودية والملكوت:

وذلك كقوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[٢]، التقديم لمفعولي (نعبد، نستعين) وقد قدما لإفادة القصر، والقصر فيهما صفة ــ وهي (العبادة) و (الاستعانة) ــ على موصوف وهو الله ــ عز وجل ــ وطريقة القصر هي تقديم ما حقه التأخير والقصر هنا إضافي، أما نوعه فهو حسب حال المخاطب فإن كان ردًا على من يعتقد أن المعبود غير الله ــ عز وجل ــ فهو قصر قلب، وإن كان يعتقد الشركة فهو قصر إفراد، وإن كان مترددًا فهو قصر تعيين .

---

(١) ينظر: هامش الإيضاح، أ.د/ محمد عبدالمنعم خفاجي (٣/١٦،١٥)، وأساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية (ص:٧٦).

(٢) سورة الفاتحة، الآية (٥) .

والمعنى " اللهمّ إياك نعبدُ وحدَك لا شريك لك، مخلصين لك العبادةَ دونَ ما سِواك من الآلهة والأوثان " [١]، وهذا يقتضي توحيد وترسيخ العقيدة في القلب والروح، ونفي الشرك.

وتظهر بلاغة التعبير بطريق القصر في تقديم المسندإليه (إياك) على المسند (نعبد، نستعين) في التبرئ من الشرك، والتبرئ من الحول والقوة والتفويض إلى الله ــ عز وجل ــ [٢]، وقد ورد هذا المعنى في كثير من آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [٣]، وقوله تعالى: (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا) [٤]، فالمسلم يحتاج إلى معبود يختص بأشياء تنفرد به لا يشاركه فيها أحد، ألا ترى أنك لو قدمت الفعل (نعبد، نستعين) على المفعول (إياك) لفقدت هذا الأمر، وجعلت العبادة والاستعانة مشاركة بين الخالق وغيره من المخلوقات.

وعند التأمل في المقام نراه يدل على الخضوع والاستسلام للخالق ــ سبحانه ــ فسورة الفاتحة إخبار منه ــ تعالى ــ بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك، ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه[٥]، ففي الحديث الشريف" لا صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ " [٦].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح/أحمد محمد شاكر(١٦٦/١)، ط، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تح/ أسعد محمد الطيب (١٢/١)، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ .

(٣) سورة هود، من الآية (١٢٣).

(٤) سورة الملك، من الآية (٢٩).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٢/١).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت، (١٥١/١)، رقم (٧٥٦).

والسياق في مجمله يدل على توحيد الإله المعبود والثناء عليه، وترسيخ العقيدة في نفوس المسلمين حتى يتسنى لهم إقامة الشعائر، وعبادة الخالق ــ سبحانه ــ على النحو المطلوب .

وتظهر البلاغة القرآنية في التعبير بأسلوب القصر ــ في هذا المقام ــ حيث الخضوع والتذلل للخالق ــ سبحانه ــ فالاختصاص بالعبادة، وطلب المعونة أقصى درجات الخضوع والاستسلام للخالق ــ جل شأنه ــ كما أن المعنى اللغوي لكلمة (العبادة) يدور حول هذا المعنى، تقول: ثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة وقوّة النسج، ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع للَّه ــ تعالى ــ لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقًا بأقصى غاية الخضوع [1].

وتظهر البلاغة القرآنية في التعبير بأسلوب القصر ودوره الفعال في توحيد الألوهية وثبوتها للمولى ــ تبارك وتعالى ــ وذلك من خلال الانتقال من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب، في قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين) وكأن العبد في أول قراءته خائفٌ لا يستطيع مخاطبة خالقه، بلفظ التكلم أو الخطاب، فلما استقر وأطمأن وعرف قدر خالقه ــ سبحانه ــ وأنه المسيطر على الملكوت، وأنه الواحد الذي لا معبود سواه، المتفرد بالوحدانية، انتقل من لفظ الغيبة إلى الخطاب، وخاطبه خطاب الحاضر فقال : (إياك نعبد وإياك نستعين)؛ تأكيدًا على رسوخ العقيدة وإشباعًا للأحاسيس النفسية والمعنوية، فالغائب أصبح حاضرًا، والبعيد أصبح قريبًا، غاية للخضوع والاستعانة في المهمات، فإياك يا من هذه صفاته نخصك بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعين إلا بك ؛ ليكون الخطاب أدل على أنّ العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة

(١) ينظر: الكشاف(١٣/١)، ومعجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، (٩/٤)، ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

إلا بـــه [١].

ومما يدل على ترسيخ العقيدة وثبوتها، إيثار صيغة الجمع فـــي الفعلـــين (نعبـــد، نستعين) فلم يقل: (أعبد، أستعين) بالإفراد، تأكيدًا على مشاركة الجميع في هذا الخضوع والاستسلام للخالق ــ سبحانه ــ على غرار قوله ــ تعالى ــ على لسان سيدنا إبـــراهيم ــ عليه السلام ــ لما نال شرف العبادة واللذة في الطاعة، أراد مشاركة الجميع ــ بعده ــ لهذه الطاعة والخضوع لله ــ تعالى ــ في قوله: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُـــو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ) [٢]، وهذا دليل علـــى ســـكون العقيـــدة ورسوخها في القلب والعقل .

ومما يدل على رسوخ العقيدة وسكونها، التكرار بطريق التقديم للمفعـــول (إيـــاك نعبد وإياك نستعين)؛ لأن " فى التقديم فائدة وهى قطع الاشـــتراك" (٣) فـــي العبوديـــة، والتفرد بالألوهية، كما أن التكرار دل على الاطمئنان واللذة فـــي الخضـــوع للخـــالق ــ عزوجل ــ فالعبد إن لم يتلذذ بخضوعه واستسلامه لخالقـــه ــ ســـبحانه ــ لـــم يكـــرر المفعول (إياك) مع الاستعانة، واكتفى بالعبادة وحـــدها، وإذا أردت أن تتأمـــل البلاغـــة العالية، فأسقط المفعول بالتقديم من الجملة الثانية، وقل: (إياك نعبد ونستعين)، هل ترى ما تراه في الإثبات والتقديم؟ أم أنك ذهبت بالبلاغة؟، ولم يظهر أن التقدير: (إياك نعبـــد وإياك نستعين)، ففي التكرار بالتقديم معنى الثبوت للعقيدة وسكونها في القلب والـــروح، واختصاصه ــ سبحانه ــ بالعبادة والاستعانة [٤].

---

(١) ينظر: الكشاف (١٤/١).
(٢) سورة البقرة، من الآية (١٢٩).
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطـــائف الكتـــاب العزيزلمجـــد الـــدين أبـــو طاهرالفيروزآبـــادى (ت: ٨١٧هـــ)، تح/محمد علي النجار(١٣٠/١)، ط، لجنـــة إحيـــاء التـــراث الإســـلامي، القاهرة، ١٤١٦هـــ / ١٩٩٦م.
(٤) ينظر: القصر وتجلياته في البلاغة القرآنية لمصطفى رجب الخمري(ص٥)، مجلـــة كليـــة التربية، الجامعة الأسمرية، ليبيا، العدد (٣)، عدد الصفحات (٢٢)، عام ٢٠١٧م.

وتظهر بلاغة التراكيب في اقتران الاستعانة بالعبادة؛ ليجمع العبد بين ما يتقرّب به إلى ربه، وبين ما يطلبه ويحتاج إليه من جهته، وقد قدمت العبادة على الاستعانة؛ لأنّ تقديم المعرفة بالعبودية، يكون أدعى للإجابة [١].

وعلى الجملة ظهر رسوخ العقيدة وسكونها بأسلوب القصربطريق التقديم بصورة بديعة لا يقدر علي مثلها غيره ــ عز وجل ــ فلو جاء النظم القرآني ــ مثلًا ــ بطرق آخر من طرق القصر، كطريق النفي والاستثناء مثلًا فقيل: (ما نعبد إلا إياك، ما نستعين إلا إياك) لما وجدت ما وجدته في التقديم لمفعولي (نعبد، نستعين) من المعاني وما تتضمنه السياق من أفكار.

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده:

قوله تعالى:(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [٢]، وقال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [٣]، وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [٤]، الآيات الكريمة قوية الدلالة على وحدانية الخالق ــ سبحانه ــ وسيطرته على الملكوت، وأنه لا معبود سواه، وقد جاء القصر في قوله: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ)، (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ)، قصرًا إضافيًا [٥]؛

---

(١) ينظر: الكشاف (١/١٥).
(٢) سورة آل عمران، الآية (٦٢).
(٣) سورة المائدة، الآية (٧٣).
(٤) سورة ص، الآية (٦٥).
(٥) حمل بعض المفسرين الآيات على القصر الحقيقي رغم أن السياق يدل على أنها من القصر الإضافي، فالآيات واضحة في الرد على النصارى وكفار مكة، وحجتهم بذلك أن اسم الجلالة إذا جاء مقصورًا عليه اختفى مقابله تمامًا وكان قصرًا حقيقيًا، ويقوي هذا ما ذكره الطبري خاصة في الآية الأولى ــ موضع الشاهد ــ من أن الآية حكم فاصل، وأن المعنى: ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه إياهم إلا معبودك الذي تعبده، وهو الله العزيز الحكيم . ينظر: تفسير الطبري (٦/٤٧٦)، وأساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية (ص:٦٣).

تصحيحًا لخطأ المخاطب وقلب اعتقاده، فالآية الأولى والثانية جاءتا ردًا على النصارى الذين قالوا إن عيسى ابن الله تارة، وبعضهم قال إن الله ثلث من ثلاثة آلهة (الأب، والأم، والروح القدس)، يعني: الله ومريم وعيسى، فكذب الله مقالتهم ووعدهم بالعذاب إن لم يتوبوا(١)، وجاءت الآية الثالثة ردًا على كفار مكة الذين كانوا يعبدون الأصنام (٢) فالبلاغة القرآنية ظهرت حين وافق التعبير بأسلوب القصر السياق والمقام، حيث قلبت اعتقاد النصارى وكفار مكة، وحصرت الأولوهية في الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ وحده.

وظهرت البلاغة العالية في قوله تعالى: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ)، (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ)، ردًا على النصارى وكفار مكة، وتأكيدًا على المعبود الواحد، ونفيًا للشريك، فالتعبير بالقصر يثبت شيئًا وينفي آخرًا، فالمقام مقام تكذيب وإنكار؛ لذا استدعى المقام التعبير بالقصر الذي يثبت شيئًا ويبطل الآخر.

وتظهر بلاغة التعبير بالقصر بالنفي والاستثناء في أنه يستخدم فيما ينكره المخاطب ويدفعه، أو فيما يشك فيه ويرتاب، يقول الإمام عبدالقاهر: " وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو "ما هذا إلا كذا وإن هو إلا كذا"، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت: (ما هو إلا مصيب، أو: ما هو إلا مخطئ): قلته لمن يدفع أن يكن الأمر على ما قلته، وإذا رأيت شخصًا من بعيد فقلت: (ما هو إلا زيد): لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس زيدا وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون زيدا " (٣)، والمخاطبون في الآيات محل الشاهد ينكرون وحدانية الله ــ تعالى ــ فجاء الرد بالنفي والاستثناء إبطالًا لإنكارهم وإعتقادهم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٤٦٧/٥)، وبحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، (٤٠٨/١)، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٣٩/٢٠) .

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تح/د.عبدالحميد هنداوي (ص٢١٨)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت،١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

وعند التأمل في السياق، نرى المخاطبين في الآية الأولى في قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يزعمون أن عيسى ــ عليه السلام ــ ابن الله ــ تعالى ــ وأنه يشارك الخالق ــ سبحانه ــ في ملكوته بحجة أنه ابنه فما يكون للأب يكون للابن، فجاء الرد من الله ــ تعالى ــ بأن هذا محض إدعاء وافتراء، وأن عيسى ــ عليه السلام ــ مخلوق كباقي البشر من تراب، وأنه عبدٌ لله ــ تعالى ــ ورسوله، كما أخبر الله ــ تعالى ــ بذلك قبل الآية محل الشاهد في قوله: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) [(١)]، فجاءت آية الشاهد بالنفي والاستثناء بطريق القصر مؤكدة إبطال هذا الاعتقاد، وأن ما قصه الله ــ تعالى ــ على رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من خبر سيدنا عيسى ــ عليه السلام ــ هو الخبر الحق، وأنه لا يوجد شريك لله ــ تعالى ــ في ملكه [(٢)] .

وعند التأمل في سياق الآية الثانية في قوله تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ) نجد أنها وردت في سياق الرد على النصارى الذين يزعمون بقضية التثليث، فجاءت الآية مستخدمة أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في دفع التشريك في الملكوت وأنه " معبود واحد، وهو الذي ليس بوالد لشيء ولا مولود، بل هو خالق كل والد ومولود" [(٣)]، فهو إله واحد لا معبود سواه.

وتظهر القيمة البلاغية في الآية محل الشاهد حيث إنها جاءت بطريق النفي والاستثناء، الذي أثبت الألوهية لله ــ عز وجل ــ ونفى الآلهة المتعددة؛ ولذلك تجد فرقًا في التعبير بين هذه الآية والسابقة في الرد على النصارى، فتجد في الآية الأولى: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) بذكر اسم الجلالة (الله)، وفي الآية الثانية (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ

(١) سورة آل عمران، من الآية (٥٩) .

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٤٦٧/٥)، وبحرالعلوم(٢٢٠/١).

(٣) تفسير الطبري (٤٨٢/١٠).

وَاحِدٌ)، بذكر لفظ (الإله) وصفته بأنه واحد، قلت ــ وبالله التوفيق ــ في الآية الأولى كان الرد على نفي الشريك في الملك، وهو سيدنا عيسى ــ عليه السلام ــ فجاء التعبير باسم الجلالة (الله) المشهور بشموله وإحاطته على كل شيء، لكن الآية الثانية تعددت فيها مزاعم النصارى بكثرة الآلهة وهي (التثليث)، فاقتضى المقام أن يذكر التعبير بلفظ (الإله الواحد) تأكيدًا على أنه واحد لا معبود سواه، وأن عيسى ــ عليه السلام ــ عبد له ورسول، لا يتعدى إلى شيء آخر، وإن أنت أمعنت النظر واستقرأت ما جاء بعد موضع الشاهد من تراكيب بيانية، أشبعت ذوقك في رد ونفي دعوى النصار وإبطالها.

تأمل قول الله جل وعز: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [(١)]، فنجد السياق جاء مستخدمًا قصر القلب في الرد على النصارى أولًا بأنه إله، ثم بعد ذلك جاء قصر القلب في قوله: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ) فالسياق اقتضى أن يكون القصر قصر قلب؛ لأن النصارى قد أنكروا أن يكون سيدنا عيسى ــ عليه السلام ــ رسولًا، وجعلوه إلهًا، وهم بهذا قد كفروا، وقد توعدهم الله بقوله: (وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [(٢)]، ثم يأتي بعد ذلك القصر بالنفي والاستثناء فيدل على أن عيسى ــ عليه السلام ــ مقصور على كونه رسولًا يخلو كما يخلو غيره من البشر لا يتجاوز تلك الصفة إلى كونه إلهًا كما زعم النصارى، وما ورد بعد ذلك من نظم يشير إلى هذا المعنى، تأمل الكناية في قوله تعالى: (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) فهذه الكناية وما تشير إليه من معاني بلاغية كفيلة برد ونفي أي مزاعم تعتقد في رسول الله عيسى وأمه ــ عليهما السلام ــ كونهما غير عبدين .

(١) سورة المائدة، الآية (٧٥) .

(٢) سورة المائدة، الآية (٧٣) .

وجاء القصر بالنفي والاستثناء في الآية الثالثة في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) دليلًا على توحيد الألوهية لله ــ سبحانه ــ فالله ــ عزوجل ــ أخبر رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يخبركفار مكة الذين يعبدون الأصنام، أن يقول لهم " ما من إله عندي دونه بإله، إنما الإله هو الواحد القهار الذي تفرد وتوحد بربوبيته وألوهيته، قهر الخلائق كلهم بقدرته " (١)، فالقصر بالنفي والاستثناء كشف توحيد الألوهية لله ــ عزوجل ــ وقلب اعتقاد المخاطب الذي ينكر الحكم ويدفعه؛ إذ الكفرة لا يقرون بالوحدانية .

وعند التأمل في السياق ترى ما يتآزر مع أسلوب القصر الذي يؤكد وحدانية الخالق وملكوته على خلقه ــ سبحانه ــ انظر إلى ما جاء بعد موضع الشاهد في قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ)(٢)، فالله ــ تعالى ــ " يخبر عن غنائه وسلطانه يقول – والله أعلم –: تعلمون أنه رب السماوات والأرض ومنشئهما ومنشئ ما بينهما، فلا يحتمل أن ما يأمركم به وينهاكم عنه، إنما يأمركم لحاجة " (٣)، فمن كانت السماوات والأرض وما بينهما من صنعه وتحت قبضته، هل يكون غيره إلهًا؟ أو شريكًا؟ ما لكم كيف تحكمون؟!.

وتظهر بلاغة التعبير بالنفي والاستثناء بطريق القصر سواء في الرد على النصارى أم الرد على كفار مكة، في أنه لا يصلح رد إنكار هؤلاء إلا بطريق النفي والاستثناء، فلو استبدلنا مثلًا النفي بـ (لا) النافية للجنس وقلنا: (لاإله إلا الله) موضع

(١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد بن محمد أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح/د. مجدي باسلوم (٦٤٣/٨)، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

(٢) سورة ص، الآية (٦٦).

(٣) تفسير الماتريدي (٦٤٣/٨).

قولك: (وما من إله إلا الله) لا يكون النفي بها كالنفي المطلوب به رد إنكاروإبطال دعوى؛ لأن (لا) جواب عن سؤال مقدر هو (هل من)، وهذا الجواب يكون إعلامًا للمخاطب وليس ردًا على قول، أو ظن أو ما كان منزلا هذه المنزلة، أما (ما) النافية فتكون ردًا على إنكار أو ظن أو غير ذلك [1] .

كذلك لا يصلح أن نضع أداة القصر (إنما) موضع النفي والاستثناء في كل الأمثلة التي وردت فلا يصلح أن نقول: (إنما من إله الله) موضع قوله تعالى: (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ)، كان ذلك ليس له معنى، فليس "المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه، وأن سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد، وفرق بين أن يكون في الشيء معنى الشيء، وبين أن يكون الشيء الشيء على الإطلاق، يبين لك أنهما لا يكونان سواء، أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما) و (إلا)، يصلح فيه (إنما)" [2]، فالتراكيب والجمل التي تكون بالنفي والاستثناء، بخلاف التي (بإنما) في مواضع ودلالات القصر.

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده:

قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) [3].

(١) ينظر: معاني النحو للدكتور/ فاضل صالح السامرائي (٣٦٧/١)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام عبدالقاهر الجرجاني، تح/محمود شاكر(ص٣٢٩)، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٣) سورة النساء ، الآية (١٧١) .

جاء القصر بـ (إنما) في الآية الكريمة في قوله تعالى: (إنما الله إله واحد)؛ تصحيحًا لخطأ المخاطب وقلب اعتقاده، فالتعبير بأداة الحصر (إنما) أكد الكمال في ثبوت الألوهية لله ـ تعالى ـ ونفى التعدد المزعوم في قضية التثليث.

وتظهر بلاغة التعبير بأسلوب القصر بـ (إنما) في الآية محل الشاهد في " أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره " [1]، فإذا قلت: (إنما الله إله واحد) دل على أنك نفيت أن يكون إله غير الله ـ تعالى ـ والمعنى: " ما الله أيها القائلون: الله ثالث ثلاثة كما تقولون؛ لأن من كان له ولد فليس بإله، وكذلك من كان له صاحبة فغير جائز أن يكون إلها معبودًا ، ولكن الله الذي له الألوهة والعبادة، إله واحد معبود، لا ولد له، ولا والد، ولا صاحبة، ولا شريك " [2]، فالتعبير بأداة القصر قطع زعم النصارى، وكشف ثبوت الألوهية للخالق عز وجل .

وعند التأمل في النظم الكريم نجد التعبير بـ (إنما) في قوله تعالى: (إنما الله إله واحد) يشبه ما تفيده (لا) النافية في المعنى في قولك: (الله إلهي لاغيره)، إلا أن (إنما) لها مزية عظيمة، وهي أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة في حال واحدة ، وليس ذلك في قولك: (الله إلهي لا غيره)، فإنك تعقلهما في حالين، ومزية ثانية، وهي أنها تجعل الأمر ظاهرًا في أن (الله ـ تعالى ـ هو الإله) ولا يكون هذا الظهور إذا جعلت الكلام بـ (لا) فقلت: (الله إلهي لاغيره) [3].

وعند مطالعة السياق تجد ما يتآزر مع التعبير بالقصر بـ (إنما) في الدلالة على المقصود من ثبوت الألوهية لله ـ تعالى ـ ونفي الشرك، كالتعبير بأداة النداء (يا) التي يمتد بها الصوت في مطلع الآية تناسبًا مع كذب أهل الكتاب في زعمهم وافترائهم على

(١) دلائل الإعجاز(ص٣٣٥).
(٢) تفسير الطبري (٧٠٧/٧).
(٣) ينظر: دلائل الإعجاز(٣٣٥).

الله ــ تعالى ــ بالتثليث .

ومما يتآزر مع التعبير بالقصر في الدلالة على توحيد الألوهية، النهي عن (الغلو) في قوله تعالى: (لاتغلو) الذي دل على مجاوزة الحد والتفريط في الكذب والافتراء على الله ــ تعالى ــ في التشريك، فـ " غُلُوّاً وغَلاَنِيَةً وغَلاَنِياً إِذا جاوزْتَ فِيهِ الحَدّ وأَفْرَطْت فِيهِ"(١).

ومما يتآزر مع التعبير بأسلوب القصر في الدلالة على المراد، التعبير بالنفي والاستثناء و (إنما) في قوله: (وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) فتتابع أدوات القصر من النفي والاستثناء و(إنما) كشف توحيد الألوهية للخالق ــ سبحانه ــ وقطع الشرك، ونفى قضية التثليث، كما أن التصريح باسم عيسى ــ عليه السلام ــ وإضافته إلى مريم ــ عليها السلام ــ واتصاله بها اتصال الأولاد بأمهاتهم، لا يصح نسبته للبنوة إلى غيرها، وليس هو الله ولا ابن الله – كما زعم النصارى، وإنما هو عبد ورسول (٢).

وتظهر بلاغة التعبير القرآني في التعبير بالنهي في قوله: (وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا) تأكيدًا على قطع الشرك وتثبيتًا للعقيدة في النفوس، والمعنى: لا تقولوا آلهتنا ثَلَاثَةٌ، أو لا تقولوا الأرباب ثلاثة، بالرفع على الإضمار (٣)، وقد رد الإمام عبدالقاهر على أن يكون الرفع خبرًا للمبتدأ في الآية محل الشاهد بقوله: " وذلك أنا إذا قلنا: (ولا

(١) لسان العرب، مادة (غ ل أ)، (١٣٢/١٥).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسورلإبراهيم بن عمر البقاعي (ت:٨٨٥هـ)، (٥٢٠/٥)، ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

(٣) ينظر: تفسير الطبري(٧٠٦/٧)، ومعاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تح/عبد الجليل عبده شلبي (١٣٥/٢)، ط١،عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

تقولوا آلهتنا ثلاثة)، كان ذلك، والعياذ بالله، شبه الإثبات أن هاهنا آلهة، من حيث أنك إذا نفيت، فإنما تنفي المعنى المستفاد من الخبر عن المبتدأ، ولا تنفي معنى المبتدأ، فإذا قلت: (ما زيد منطلقا)، كنت نفيت الانطلاق الذي هو معنى الخبر عن زيد، ولم تنف معنى زيد ولم توجب عدمه، وإذا كان ذلك كذلك، فإذا قلنا: (ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة)، كنا قد نفينا أن تكون عدة الآلهة ثلاثة، ولم ننف أن تكون آلهة ــ جل الله تعالى ــ عن الشريك " [(١)].

وقد وضح الإمام عبدالقاهر وجه البلاغة في رفع (ثلاثة) في قوله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ) " أن تكون (ثلاثة) صفة مبتدأ لا خبر مبتدأ، ويكون التقدير: (ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة، أو في الوجود آلهة ثلاثة)، ثم حذف الخبر الذي هو (لنا) أو (في الوجود) كما حذف من: (لا إله إلا الله)، (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ)[(٢)]، فبقي (ولا تقول آلهة ثلاثة ..."[(٣)].

ومن بلاغة النظم في توحيد الألوهية قوله تعالى: (سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) تثبيتًا للنفوس وترسيخًا للعقيدة، وتنزيهًا للخالق ــ سبحانه ــ وعن الشريك، فكيف يكون له الشريك، وله كل ما في السماوت والأرض، وهو المدبر لما فيهما .

فالتعبير بأسلوب القصر وما تآزر معه من معان بلاغية جاء كاشفًا لتوحيد الألوهية للخالق ــ سبحانه ــ وقطعًا لزعم النصارى وغيرهم ممن جعل لله ــ تعالى ــ ولدًا أو شريكًا في ملكه جل وعلا .

(١) دلائل الإعجاز(ص٢٤٤).
(٢) سورة آل عمران، من الآية (٦٢).
(٣) دلائل الإعجاز(ص٢٤٤، ٢٤٥).

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده:

قوله تعالى:(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (١)، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (٢)، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) (٣).

جاء التعبير بأسلوب القصر ــ في الآيات محل الشاهد ــ تصحيحًا لخطأ المخاطب وقلب اعتقاده، وتأكيدًا على أن الألوهية للخالق ــ سبحانه ــ فأداة الحصر (إنما) حصرت المقصور عليه (إلهكم) على الألوهية، والمعنى: " قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله، وإن الله يوحي إلي أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك" (٤).

ولما كان أحسن استعمالات (إنما) في دلالتها على القصر هو التعريض(٥)، أفادت هذه الآيات ــ مع حصر الألوهية في المعبود الواحد ــ التعريض بذم الكافرين، فليس الغرض حصر الإله بالعبودية وحده؛ لأن هذا الأمر معروف بالبديهة وهو من شأن (إنما)، لكن الأمر هو ذم هؤلاء الكافرين وتوبيخهم على ما يقومون به من جدال وأسئلة عن الروح والساعة، والادعاء والافتراء الكاذب، ككونه ــ تعالى ــ ثالث ثلاثة، او أنه له ولد ...إلخ، وعند توضيح ذلك بالأدلة والبرهان تراهم لا يؤمنون وبالقرآن يكذبون.

---

(١) سورة الكهف، الآية (١١٠).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١٠٨).

(٣) سورة فصلت، الآية (٦).

(٤) تفسير الطبري (٤٣٩/١٥).

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز(ص٣٥٤).

فالعقيدة عند الناس تحتاج إلى مزيد من التثبيت والاطمئنان؛ حتى يتم المراد من زيوع هذا الدين وسيطرته على الادعاءات والأهواء الباطلة، فكان لأسلوب القصر وأداته (إنما) هو الطريق المستقيم في توضيح وتثبيت العقيدة عند المسلمين؛ حيث أكد الحصر بـ (إنما) العبودية للمعبود الواحد، وعرض وشهر بالكافرين، فما يعبدونه من دون الله ـ تعالى ـ لا أصل له وأنهم على باطل، وأنه ـ تعالى ـ هو الإله الواحد .

وعند التأمل في النظم القرآني ـ في الآيات محل الشاهد ـ نرى أن الإشارة إلى إلاهيته ـ سبحانه ـ بالإطلاق لا بالنظر إلى جعل جاعل ولا غير ذلك، فقال تعالى: (إله واحد) أي: لا ينقسم بمجانسة ولا غيرها، قادر على ما يريد، لا منازع له [1].

فالتعبير بهذا الأسلوب البديع خلق نوعًا من التجاوب والمشاركة بين السامعين إلى يوم القيامة، فما ترى أحدًا يسمع هذا الحوار بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والكافرين إلاوقد كان ذلك توبيخًا للكافرين، وقلبًا لاعتقادهم، وتثبيتًا لقلوب المؤمنين، فالتعبير بأسلوب القصر وأداته (إنما) قوى دعائم الحجة وهزم العدو بطريقة سريعة .

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده:

قوله تعالى: (إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) [2]، جاء القصر في الآية محل الشاهد تصحيحًا لخطأ المخاطب، وقلبًا لاعتقاده، فالآية الكريمة جاءت ردًا على مزاعم الكافرين الذين ظنوا أن الإله هو العجل، فالسياق القبلي من الآيات دل على هذا المعنى، قال تعالى: (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) [3]، فالكافرين زعموا أن الإله

(١) ينظر: نظم الدرر(١٣/١٥٤).
(٢) سورة طه، الآية (٩٨).
(٣) سورة طه، الآيات (٩٥ ـ ٩٧).

هو العجل وأنهم يعبدونه من دون الله [١]، فجاء التعبير بالقصر في قوله تعالى: (إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) مصححًا ومظهرًا قلب اعتقاد المخاطب، الذي ظن أن الإله هو العجل، وهنا تظهر بلاغة التعبير بالنفي والاستثناء بطريق القصر في هذا المقام؛ حيث محى ونظف الشوائب التي تسكن في قلب المخاطب الذي صدق أن العجل هو الإله، وثبت أن الإله المستحق للعبادة هو الله الحق الذي وسع كل شيء علمًا، وليس هذا العجل الذي لا يعقل.

وقد تآزر مع التعبير بالنفي والاستثناء في ترسيخ العقيدة لدى السامع وتصحيح خطأ المخاطب، التعبير بـ (إنما) التي أثبتت التفرد له ـ سبحانه ـ ونفت الشريك عنه جل وعز، كذلك التعبير بالفعل (وسع) الذي دل على الغنى والقدرة، " فكان على كل شيء ممكن قديرًا، فكان كل شيء إليه فقيرًا، وهو غني عن كل شيء، وجوده يباين وجود غيره، وذاته تباين ذات غيره، وصفاته تباين صفات غيره، وأما العجل الذي عبدوه فلو كان حيًا كان مثلًا في الغباوة، فلا يصلح للإلهية بوجه ولا في عبادته شيء من حق" [٢]، فالسامع حين يقارن بين من قصرت عليه الألوهية وصفاته العالية من القدرة والقوة، وبين هذا العجل المتصف بالغباوة، وعدم النفع كما في قوله ـ تعالى ـ على لسان سيدنا موسى عليه السلام: (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا)[٣]، يقر بإلاله المعبود وعدم الإشراك به ورسوخ العقيدة في قلبه وروحه.

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده:

قوله تعالى: (قوله تعالى: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) [٤]، وقال تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٥٣).
(٢) نظم الدرر (٣٣٨/١٢).
(٣) سورة طه، الآية (٨٩).
(٤) سورة هود، الآية (١، ٢).

صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) [١] وقال تعالى: (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [٢]، جاءت صيغة النفي والاستثناء بطريق القصر في الآيات السابقة؛ تصحيحًا لخطأ المخاطب وقلب اعتقاده، فالآيات محل الشاهد واضحة الدلالة على قصر العبادة لله ــ تعالى ــ وحده حيث لا يشاركه فيها أحد، فـ (ألا) حرف مركّب من إن الشرطيّة ولا النافية أي: (لأن لا تعبدوا غير الله الواحد)، الذي لا إله غيره [٣] .

وعند التأمل في السياق، نرى أن الآية الأولى محل الشاهد جاءت دالة على إثبات الألوهية للخالق ــ سبحانه ــ ونفي الشرك، وذلك لما ختم الله ــ عزوجل ــ ما قبل موضع الشاهد بقوله تعالى: " (من لدن) أي: نزلت آياته محكمة مفصلة حال كونها مبتدئة من حضرة هي أغرب الحضرات الكائنة من إله (حكيم خبير) منتهية إليك، وأنت أعلى الناس في كل وصف فلذلك لا يلحق إحكامها ولا تفصيلها، أرسلناك به قائلا: (ألا تعبدوا) أي: بوجه من الوجوه (إلا الله) أي: الإله الأعظم " [٤]، فالآية دلت على وحدانية الخالق ــ سبحانه ــ وقد اتخذت من النفي والاستثناء أداة في التأكيد على المطلوب بصورة بديعة، فالنفي والاستثناء مع ما يفيده من التأكيد على وحدانية الخالق ــ جل وعز ــ وأنه المتفرد بالعبودية، ترى ــ إن أنت أمعنت النظر ــ معنى الخوف والرهبة لمن ينكر وحدانية الخالق ــ سبحانه ــ ولهذا ترى السياق البعدي لموضع الشاهد يدل على معنى الخوف والتهديد للمنكرين بل ومعنى التثبيت للمقرين، وذلك في قوله ــ

(١) سورة فصلت، الآية (١٣، ١٤).
(٢) سورة الأحقاف، الآية (٢١).
(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تح/محمد عبد الرحمن (١٢٧/٣)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.
(٤) ينظر: نظم الدرر (٢٢٦/٩).

تعالى ــ على لسان سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ (إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ)، فالسياق يزدحم بما يدل ويؤكد على وحدانية الخالق وملكوته مع التهديد للمنكر والمعاند.

وجاء النفي والاستثناء في آية (فصلت) دالًا على توحيد المعبود في قوله تعالى:(إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) فلما كان المشركون يظهرون الكفر لخالق السماوت والأرض، ولا يؤمنون بتوحيد الإله " أتاهم رسولهم الذي هو بإظهار المعجزة كجميع الرسل بالوعظ من كل جانب يخفى عليهم أو يتضح لهم وأعمل فيهم كل حيلة بكل حجة حتى لم يدع لهم شبهة، ثم بين أن مجيء الرسل ينفي عبادة غير الله وقصر العبادة عليه، فقال مظهرًا مع العبادة الاسم الذي هو أولى بها: (أن) أي: بأن قولوا لهم (لا تعبدوا إلا الله) أي: الذي له جميع صفات الكمال" [1]، فالتعبير بالنفي والاستثناء بطريق القصر ناسب المقام الذي يلزم توحيد المعبود الواحد، الذي له جميع صفات الكمال من القدرة، والعظمة، والحكمة ...إلخ، وتظهر بلاغة ذلك في اختيار صيغة (ألا) المركبة من (أن) و (لا) النافية التي أظهرت ثبوت العبودية للإله الواحد، ونفى غيره عن تلك الصفة .

وجاء النفي والاستثناء في قوله تعالى: (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ...) دالًا على وحدانية الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ وقطع الشرك، وعند مطالعة السياق نلمح أن الله ــ تعالى ــ أراد تسلية رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بذكر الأقوام السابقة التي كانت أشد من كفار مكة في القوة والجسد، كقوم (عاد) وقد صدعهم أخوهم هود ــ عليه السلام ــ بالحق وبادأهم بأمر الله، فلم يخف عاقبتهم ونجاه الله ــ تعالى ــ منهم، فهو لك يا محمد قدوة

(١) ينظر: نظم الدرر (١٧/١٦٠).

وفيه أسوة، ولقومك في قصدهم إياك بالأذى من أمره موعظة [١] .

ولما أشار ــ سبحانه ــ إلى كثرة إرسال الرسل من هود ــ عليه السلام ــ وغيره، ذكر ــ سبحانه ــ وحدتهم في أصل الدعاء، باستخدام النفي والاستثناء بطريق القصر في قوله: (ألا تعبدوا إلا الله)، أي: " لا تشركوا مع الله شيئا في عبادتكم إياه، ولكن أخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهة، إنه لا إله غيره" [٢].

وتظهر بلاغة التعبير بالنفي والاستثناء في هذا المقام مع حصر الألوهية، والتفرد بها، الدعوة إلى التهديد والتخويف لمشركي مكة ومن كان على شاكلتهم، وأخذ العبرة من الأمم السابقة؛ حتى يصل التوحيد الخالص وترسيخ العقيدة في نفوس السامعين.

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده:

قوله تعالى: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) [٣]، وقوله تعالى: (هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [٤]، وقوله تعالى: (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) [٥]، جاءت الآيات السابقة كاشفة وحدانية الخالق ــ سبحانه ــ وقطع الشرك، وقد اتخذت من أسلوب القصر وأداته (إنما) سبيلًا في ثبوت الحجة ودفع الافتراء .

(١) ينظر: المرجع السابق (١٦٢/١٨).
(٢) تفسير الطبري (١٢٥/٢٢).
(٣) سورة الأنعام، الآية (١٩) .
(٤) سورة إبراهيم، الآية (٥٢).
(٥) سورة النحل، الآية (٥١).

فالآية الأولى في قوله تعالى: (إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) دلت على ثبوت الألوهية للمقصور عليه المبتدأ (هو)، كما أفاد التعبير بأداة القصر (إنما) معنى جديدًا يتوافق مع خصوصيتها من القصر، وهو التهديد للكافرين والتعريض بالذم والتنكيل بهم.

وتظهر بلاغة ذلك في " أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه" [1]، ومقتضى الأمر ــ في هذا المقام ــ هو ذم هؤلاء والتعريض بهم لأنهم كافرون بالله تعالى.

وعند النظر في السياق نرى أن الآية محل الشاهد ليس الغرض منها تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده، بل المراد منها إنذار وتهديد كفار مكة بهذا القرآن العظيم، والذي كشف عن هذا، هو معرفة سبب نزول هذه الآية، وهو أن كفار مكة جاءوا إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالوا: " أرنا من يشهد أنك رسول الله فإنا لا نرى أحدًا يصدقك، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، فأنزل الله تعالى: (قل أي شيء أكبر شهادة)؟ فإن أجابوك، وإلا قل الله شهيد بيني وبينكم، على ما أقول، ويشهد لي بالحق وعليكم بالباطل، وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به، لأخوفكم به يا أهل مكة، ومن بلغ، ... ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة "[2]، فالمقام مقام تهديد وتعريض بذم الكافرين .

ومما يؤكد أن (إنما) تفيد معنى زائدًا على الحصر، وأن معناها ليس حصرًا للألوهية فقط، بل معناها التعريض بأمر هو مقتضى الكلام، التعبير بوقوع الشهادة من الله ــ تعالى ــ لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمام المشركين في قوله: (قل الله

(١) دلائل الإعجاز(ص:٣٥٤)، والمنهاج الواضح للبلاغة لحامد عونى (٧٧/٢)، ط، المكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي لمحيي السنة" لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تح/عبد الرزاق المهدي (١١٥/٢)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

شهيد بيني وبينكم) وهذا دليلٌ على ثبوت الوحدانية والبراءة عن الشركاء والأضداد والأنداد والأمثال والأشباه، وهذا فيه ما فيه من التعرض والذم للكافرين.

كما أن الإخبار بوحي القرآن العظيم على رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنه نذير لعموم الخلق في قوله: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)، كشف أن القول بالتوحيد هو الحق الواجب، وأن القول بالشرك باطل مردود، وهذا دليل على قطع الشرك وضعف حجة المشركين [١].

وقد ورد ما أشبه هذا المعنى في آية أخرى كقوله تعالى: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) [٢]، فـ " ليس الغرض من قوله تعالى: (إنما يتذكر أولو الألباب)، أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار، وأن يقال: إنهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم، في حكم من ليس بذي عقل، وإنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكروا، كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب" [٣].

وقد ورد هذا المعنى ــ أيضًا ــ في الكلام الفصيح كقول الشاعر:

أَنَا لَمْ أُرْزَقْ محبَّتَها ∴ إِنَّما لِلْعبدِ ما رُزِقا[٤]

فالغرض أن يفهمك الشاعر من طريق التعريض أنه قد صار ينصح نفسه، ويعلم أنه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها، وييأس من أن يكون منها إسعاف [٥].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب " التفسير الكبير" لعبد الله محمد بن عمر الفخرالرازي (ت:٦٠٦هـ)، (٤٩٧/١٢)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ .

(٢) سورة الرعد، الآية (١٩).

(٣) دلائل الإعجاز (ص٣٥٤).

(٤) ديوان العباس بن الأحنف، تح/ عاتكة الخزرجي (ص١٩٢)، ط١، دار الكتب المصرية، ١٣٧٣ه/١٩٥٤م.

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز (ص٣٥٥).

وعلى وجه الجملة جاء التعبير بالقصر البلاغي ترسيخًا للعقيدة في نفوس السامعين، ومؤكدًا وحدانية الخالق ــ سبحانه ــ على خلقه وملكوته، وتعريضًا للكافرين وإبطالًا لزعمهم ولحجتهم في أسلوب بديع ساهم في مشاركة السامع وتجاوبه .

وجاء القصر في الآية الثانية في قوله تعالى: (هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) تصحيحًا لخطأ المخاطب، وقلبًا لاعتقاده الخاطئ في تعدد الألهة، فالآية محل الشاهد دلت على توحيد المعبود الواحد، ونفي الشرك، وترسيخ العقيدة في نفوس السامعين.

وعند التطلع للسياق، نرى أن السورة من مبدأها إلى آخرها تدور حول تثبيت العقيدة من خلال الآيات التي أقامها الله ــ تعالى ــ على وحدانيته وألوهيته بين يدي السورة كقوله: (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ... اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) [(١)]، وقوله تعالى: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) [(٢)] ...إلخ، فـ" لما اشتملت هذه السورة على ما قرع سمعك من هذه المواعظ والأمثال والحكم التي أبكمت البلغاء، وأخرست الفصحاء، وبهرت العقول، ترجمها ــ سبحانه ــ بما يصلح عنوانًا لجميع القرآن فقال: (هذا) أي: الكتاب الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور (بلاغ) أي كافٍ غاية الكفاية في الإيصال (للناس)؛ ليصلوا به إلى الله بما يتحلون به من المزايا في سلوك صراطه القويم " [(٣)] .

فلما كان هذا هو الهدف من السورة الكريمة، نرى أن أسلوب القصر وأداته (إنما) في الآية محل الشاهد جاء متضامًا مع السياق في الكشف عن الإله الواحد؛ إشارة إلى تحقيق جميع الفروع فعلا وتركًا، مع إشارته إلى أصل التوحيد؛ لأنه أول الوصول،

(١) سورة إبراهيم، الآيتان (١ ، ٢).
(٢) سورة إبراهيم، الآية (٤٨، ٤٩).
(٣) نظم الدرر(١٠/٤٤١).

صرح به على وحدته لجلالته في الآية محل الشاهد في قوله: (وليعلموا أنما هوإله واحد) فيكون همهم واحدًا وهو المعبود الواحد [1]، فالتعبير بالقصر عمل على قوة الحجة في توحيد الألوهية وقطع الشرك، كما عمل على ترسيخ العقيدة، وإبطال حجة المشركين إلى يوم القيامة.

وجاء القصر بـ (إنما) في الآية الثالثة في قوله تعالى: (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) تصحيحًا وتأكيدًا على مطلق الوحدانية للخالق ــ سبحانه ــ وقلبًا لما يعتقده المخاطب في تعدد الألهة، والذي أظهر هذا المعنى أن المقصور عليه مختص بالوحدانية ونفي الشريك، وتظهر بلاغة التعبير بالقصر ــ في هذا المقام ــ في الدلالة "على أن المقصود إثبات الوحدانية دون الإلهية، أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلهية " [2].

وقد ذكر البقاعي في مناسبة هذه الآية كلامًا رائعًا يكتب بماء العين في قوله: " لما كان قد فهم المراد من التثنية، وكان ربما قال المتعنت: إن المنهي عنه تكثير الأسماء، قال مؤكدًا ومحققًا: (اثنين) تنبيهًا على أن الألوهية لأنه موضع لإمكان التنازع الملزوم للعجز المنافي لتلك الرتبة مطلق العدد ينافي المنيفة الشماء، وفي ذلك أيضًا ــ مع كون معبوداتهم كانت كثيرة ــ إشارة إلى أن ما يسمى آلهة ــ وإن زاد عدده ــ يرجع بالحقيقة إلى اثنين: خالق ومخلوق، ومن المعلوم لكل ذي لب أن المخلوق غير صالح للألوهية، فانحصر الأمر في الخالق...، ثم علل ذلك النهي بما اقتضاه السياق من الوحدانية فقال تعالى: (إنما هو) أي: الإله المفهوم من لفظ (إلهين) الذي لا يستحق غيره أن يطلق عليه هذا الضمير إلا مجازًا، لأنه لا يطلق إطلاقًا حقيقيًا إلا على ما وجدوه من ذاته (إله) أي: يستحق هذا الوصف على الإطلاق، ولما كان السياق مفهمًا

(١) ينظر: نظم الدرر (٤٤٣/١٠).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٢٩/٣).

للوحدانية من النهي عن التثنية، وكان ربما تعنت متعنت بأن المراد إثبات الإله الدال على الجنس، قال رافعًا لكل شبهة: (واحد) أي: لا يمكن أن يثني بوجه ولا أن يجزأ لغنائه المطلق عن كل شيء واحتياج كل شيء إليه " [1]، فالسياق تآزر مع التعبير بأسلوب القصر في ثبوت الوحدانية المطلقة للخالق ــ جل وعلا ــ وقطع الشرك، ورسخ العقيدة في نفوس السامعين.

ومما تآزر مع التعبير بأسلوب القصر، الالتفات من الغيبة في قوله تعالى: (وقال الله)، إلى التكلم في قوله تعالى: (فأياي)؛ " مبالغة في الترهيب وتصريحًا بالمقصود فكأنه قال: فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير" [2]، فالسياق كله يكشف عن تثبيت العقيدة في نفوس السامعين، وترهيبهم حتى تكون العقيدة بعيدة عن الشوائب والنقائص .

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده:

قوله تعالى:(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [3]، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [4]، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) [5].

جاء التعبير بأسلوب القصر ــ في الآيات السابقة ــ تصحيحًا لخطأ المخاطب وقلبًا لما يعتقده من تعدد الألهة، فأداة الحصر (إنما) حصرت المقصور عليه (إلهكم) على الألوهية، والمعنى: " قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم

(١) نظم الدرر(١١/١٧٦، ١٧٧).
(٢) تفسير البيضاوي (٣/٢٢٩).
(٣) سورة الكهف، الآية (١١٠).
(٤) سورة الأنبياء، الآية (١٠٨).
(٥) سورة فصلت، الآية (٦).

لا علم لي إلا ما علمني الله، وإن الله يوحي إلي أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك" [١].

ولما كان أحسن استعمالات (إنما) في دلالتها على القصر هو التعريض[٢]، أفادت هذه الآيات ــ مع حصر الألوهية في المعبود الواحد ــ التعريض بذم الكافرين، فليس الغرض حصر الإله بالعبودية وحده؛ لأن هذا الأمر معروف بالبديهة وهو من شأن (إنما)، لكن الأمر هو ذم هؤلاء الكافرين وتوبيخهم على ما يقومون به من جدال وأسئلة عن الروح والساعة، والادعاء والافتراء الكاذب، ككونه ــ تعالى ــ ثالث ثلاثة، او أنه له ولد ...إلخ، وعند توضيح ذلك بالأدلة والبرهان تراهم لا يؤمنون وبالقرآن يكذبون.

فالعقيدة عند الناس تحتاج إلى مزيد من التثبيت والاطمئنان؛ حتى يتم المراد من زيوع هذا الدين وسيطرته على الادعاءات والأهواء الباطلة، فكان لأسلوب القصر وأداته (إنما) هو الطريق المستقيم في توضيح وتثبيت العقيدة عند المسلمين؛ حيث أكد الحصر بـ (إنما) العبودية للمعبود الواحد، وعرض وشهر بالكافرين، فما يعبدونه من دون الله ــ تعالى ــ لا أصل له وأنهم على باطل، وأنه ــ تعالى ــ هو الإله الواحد .

وعند التأمل في النظم القرآني ــ في الآيات محل الشاهد ــ نرى أن الإشارة إلى إلاهيته ــ سبحانه ــ بالإطلاق لا بالنظر إلى جعل جاعل ولا غير ذلك، فقال تعالى: (إله واحد) أي: لا ينقسم بمجانسة ولا غيرها، قادر على ما يريد، لا منازع له [٣].

فالتعبير بهذا الأسلوب البديع خلق نوعًا من التجاوب والمشاركة بين السامعين إلى يوم القيامة، فما ترى أحدًا يسمع هذا الحوار بين الرسول ــ صلى الله عليه

(١) تفسير الطبري (٤٣٩/١٥).
(٢) ينظر: دلائل الإعجاز(ص٣٥٤).
(٣) ينظر: نظم الدرر(١٥٤/١٣).

وسلم ــ والكافرين إلاوقد كان ذلك توبيخًا للكافرين، وتثبيتًا لقلوب المؤمنين، فالتعبير بأسلوب القصر وأداته (إنما) قوى دعائم الحجة وهزم العدو بطريقة سريعة .

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده:

قوله تعالى: (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ)[1]، جاءت الآية محل الشاهد تصحيحًا لخطأ الكافرين، وقلبًا لاعتقادهم الباطل عن طريق أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء دلالة على المعبود الواحد.

وعند مطالعة السياق نجد أن النفي والاستثناء بطريق القصر جاء لأمر ينكره المخاطب، فكفار مكة أنكروا القرآن الكريم الذي نزل على رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن ثم أنكروا وكفروا بالله ــ تعالى ــ فجاء القصر بالنفي والاستثناء مصححًا اعتقاد الكافرين، ومثبتًا الألوهية والتفرد للخالق ــ سبحانه ــ وقلب اعتقادهم بنفى ذلك عن خلقه، فالتعبير بالنفي والاستثناء ناسب المقام وألجم المنكر، وأفضى ترسيخ العقيدة عند السامع في صورة قوية بعيدة عن الشك والظن .

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده:

قوله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[2]، جاءت الآية محل الشاهد كاشفة مدى خصوصية الخالق ــ سبحانه ــ على ملكوت السماوات والأرض وما فيهن عن طريق التعبير بأسلوب القصر؛ إشارة إلى أن تقديم المسند (لله) على المسند إليه (السماوات والأرض) دل على أن المقصور عليه هو المخصوص بصفة الملكوت لا غيره.

وعند التطلع إلى السياق، نرى أن التعبير بأسلوب القصر بطريق التقديم هو الأنسب في هذا المقام؛ لأن سياق الآية يحكي الحديث عن سيدنا عيسى ــ عليه السلام

(١) سورة الرعد، الآية (٣٠).
(٢) سورة المائدة، الآية (١٢٠).

ــ وحواره مع النصارى في قوله ــ تعالى ــ على لسان سيدنا عيسى: (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)[1]، فجاءت آية الشاهد وما اشتملت عليه من التعبير بأسلوب القصر دالة على إنكار وتصحيح لمفهوم خاطيء توهمه النصارى من ألوهية عيسى ــ عليه السلام ــ وأمه...إلخ، وهو أن الله ــ تعالى ــ " له سلطان السموات والأرض (وما فيهن)، دون عيسى الذين تزعمون أنه إلهكم، ودون أمه، ودون جميع من في السماوات ومن في الأرض، فإن السماوات والأرض خلق من خلقه وما فيهن، وعيسى وأمُّه من بعض ذلك بالحلول والانتقال، يدلان بكونهما في المكان الذي هما فيه بالحلول فيه والانتقال، أنهما عبدان مملوكان لمن له ملك السموات والأرض وما فيهن، ينبِّههم وجميعَ خلقه على موضع حجته عليهم، ليدَّبروه ويعتبروه فيعقلوا عنه" [2]، فالتعبير بالقصر بطريق التقديم ليس مجرد حصر عام، يفيد حصر شيء لشيء، وإنما دفع وأبطل وقلب عقيدة النصارى الفاسدة.

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده:

قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)[3]، دل التعبير بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا)، على ثبوت صفة الكلام لله ــ تعالى ــ و" أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى ــ عليه السلام ــ منه من غير واسطة، وسمعه جبريل ــ عليه السلام ــ ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه ــ سبحانه ــ يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه،

(١) سورة المائدة، من الآية (١١٧).
(٢) تفسير الطبري (٢٤٥/١١).
(٣) سورة الشورى، الآية (٥١).

ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)[1]...، وقال سبحانه: (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ)[2] " [3].

وقد ظهرت بلاغة القصر بطريق النفي والاستثناء في حصر واختصاص كلام الله ــ تعالى ــ لبعض خلقه من البشر ــ في الدنيا ــ عن طريق الوحي، أومن وراء حجاب، أو إرسال رسول، ونفي ما عدا ذلك من صفات.

والذي أكد هذا المعنى وجعله ظاهرًا للسامع، هو المقصور عليه (الوحي، وراء حجاء، إرسال رسول)، فالمقصور عليه خص صفة الكلام بهذه الحالة ونفى ما عدا ذلك من صفات كالرؤية والمواجهة .

وعند التطلع إلى السياق نرى أن سبب نزول الآية محل الشاهد، هو" أن اليهود قالوا للنبي – صلى الله عليه وسلم – ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيًا كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال: (لم ينظر موسى إلى الله)، وأنزلت هذه الآية " [4].

فالسياق يتوافق مع التعبير بالقصر الذي يدل على حصر شيء على شيء ونفي ما عاداه عنه، ولا سيما التعبير بطريق النفي والاستثناء، الذي يثبت شيئًا وينفي آخر، فالمعنى: ما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحيًا يوحي الله إليه كيف شاء، أو إلهامًا وإما غيره (أو من وراء حجاب)، أي: يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما

(١) سورة النساء، من الآية (١٦٤).

(٢) سورة البقرة، من الآية (٢٥٣).

(٣) لمعة الاعتقاد لأبي محمد موفق الدين، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، (ص١٥)، ط٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

(٤) أسباب نزول القرآن لأبي الحسن النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، تح/عصام بن عبد المحسن الحميدان (ص٣٧٥)، ط٢، دار الإصلاح، الدمام، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

كلم الله ــ تعالى ــ نبيه موسى ــ عليه السلام ــ (أو يرسل رسولا) أي: يرسل الله من ملائكته رسولا إما جبرائيل، وإما غيره (فيوحي بإذنه ما يشاء) أي: فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء أن يوحيه إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي [1]، فالمقصور عليه (وحيًا أو من وراء حجاب أو إرسال رسول) خص أن يكون كلامه ــ سبحانه ــ مع البشر في الدنيا بهذه الصورة دون غيرها.

ومن بلاغة القصر بالنفي والاستثناء ــ في هذا المقام ــ أنه ليس الغرض حصر كلام الله ــ تعالى ــ للبشر ــ في الدنيا ــ بهذه الصورة التي ذكرتها آنفا فقط، بمعنى الحصر في صورته العامة، وإنما المراد هو إبطال عقيدة الكافرين وقطع الشرك، وكأن الله ــ تعالى ــ يقول لعباده: إذا أنتم أقررتم صفة الكلام لي لمن أردت ولمن شئت من عبادي، فلم تعبدون هذه الأصنام والكواكب التي لا تتكلم ولا يجري الكلام عليها بإي حال؟!فإذا أقر المخاطب بذلك علم أنه ــ تعالى ــ هو المعبود الواحد لا شريك له، فالتعبير بالقصر ــ في هذا المقام ــ أيقظ السامع ونبهه نحو المطلوب، وأحجم الخصم ودفع الشبهة، ورسخ العقيدة في قلوب المؤمنين بطريقة رائعة، وعاها السامع وتجاوب معاها في مختلف الجوانب .

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[2]، جاء أسلوب القصر في الآية الكريمة في قوله تعالى: (إن الله هو ربي وربكم)؛ تصحيحًا لخطأ المخاطب وقلب اعتقاده، فالآية محل الشاهد جاءت ردًا على دفع شبهة، وإنكارًا لمزاعم المشركين، الذين جادلوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين نزل قوله تعالى :

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١/٥٥٨).

(٢) سورة الزخرف، الآية (٦٤).

(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)[1]، فقالوا: إن النصارى تعبد عيسى، فإذا جاز أن يكون هو ولدًا، جاز أن تكون الأصنام والملائكة كذلك[2]، كما قال تعالى: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ...، وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) [3]، ثم جاءت آية الشاهد مشتملة على أسلوب القصر تأكيدًا وإظهارًا على أن عيسى ــ عليه السلام ــ هو عبد ورسول في قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ)، وأن هذه الآيات التي جاء بها عيسى ــ عليه السلام ــ من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص وغيرها هي من عندالله ــ سبحانه ــ وحده.

فالتعبير بأسلوب القصر بضمير الفصل في قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) اشتمل على فائدتين:

أولهما ـ تمييز الخبر من التابع، أي: إن الله الذين تقولون إنه أبي هو ربي.

ثانيهما ـ القصر والتأكيد، أي: أن الله هو ربي، لا غيره، فالربوبية مقصورة على الله لا تتجاوزه إلى غيره.

وتظهر بلاغة التعبير بالقصر ــ في هذا المقام ــ في رد وإحجام الخصم بطريقة لا تقبل النقاش والجدال، فعيسى ــ عليه السلام ــ عبدٌ ورسول لا يتعداه إلى صفة أخرى، كما أنه ــ سبحانه ــ هو الخالق المعبود لا غيره، فضمير الفصل سمي بذلك؛ " لأنه يفصل بين الخبر والصفة وذلك إذا قلت: زيد هو القائم، فلو لم تأت بـ (هو) لاحتمل أن يكون القائم صفة لزيد وأن يكون خبرًا عنه، فلما أتيت بـ (هو) تعين أن

(١) سورة الأنبياء، الآية (٩٨).

(٢) بحر العلوم (٢٦١/٣).

(٣) سورة الزخرف، الآيات (٥٧ــ٦٣)

يكون القائم خبرًا عن زيد" [1]، فالتعبير بضمير الفصل قلب اعتقاد المخاطب، وكشف تخصيص الربوبية لله ــ تعالى ــ وقطع الشرك، وعرض بالمشركين ووبخهم في أن ما يعبدونه من دون الله لا أصل له لا يضر ولا ينفع، وأن هذا الجدال لا يجدي ولا ينفع، وقد ظهر مكرهم وبانت نيتهم .

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي (ت: ٧٦٩هـ)، تح/محمد محيي الدين عبد الحميد(٣٧٢/١)، ط٢٠، دار التراث/ القاهرة، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

المبحث الثاني

أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب

ظهرت القيمة البلاغية للقصر في هذا المقام في إثارة انتباه المخاطب وإقراره بأن الله ــ تعالى ــ خالق كل شيء ومليكه، وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير، فهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو الذي يرسل الرسل، ويشرع الشرائع، ليحق الحق بكلماته، ويقيم العدل بين عباده شرعًا وقدرًا، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه [(١)]، وقد جاء التعبير بأسلوب القصر ــ في هذا المقام ــ تأكيدًا على ترسيخ العقيدة في النفوس، وتعريضًا للكافرين، وتسليمًا على أنه خالق كل شيء له التصاريف والتدابير...إلخ، وقد اتخذ النظم القرآني، أسلوب القصر وطرقه إثارة وتذكيرًا في كثير من آياته التي كشفت مدى استحقاق الخالق ــ سبحانه ــ بأنه المتفرد الواحد لا شريك له:

فمن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[(٢)]، جاء التعبير بالقصر بطريق النفي والاستثناء في قوله تعالى: (مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ) إثارة وتنبيهًا للمخاطب على أن هذه النعم منه ــ سبحانه ــ دون غيره، فهو الذي جعل الشمس ضياء مع الحر، والقمر نورًا بلا حر، وجعل الليل والنهار منازل يزيد أحدهما

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لصدر الدين محمد بن علاء الدين الأذرعي(ت: ٧٩٢هـ)، تح/جماعة من العلماء، تخريج/ ناصر الدين الألباني (ص٧٩)، ط١، دار السلام للطباعة والنشر مصر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ومذكرة التوحيد (ص٢٧).

(٢) سورة يونس، الآية (٥).

وينقص الآخر، ولا يجاوزان المقدار الذي قدره، ليعلم الناس بالقمر حساب السنين والشهور، وليعتبروا ويعلموا أن لهذا الكون ربًا خالقًا ومدبرًا [1] .

وتظهر بلاغة التعبير بالقصر بطريق النفي والاستثناء في هذا المقام في الدلالة على اختصاص الخالق ــ سبحانه ــ وقدرته على صيرورة وتدابير الأمور وحده لا شريك له، كما ظهر من خلال التعبير بالقصر ــ في هذا المقام ــ بطلان ظن الكافرين الذين يجعلون لله شريكًا وولدًا، فهو وحده ــ سبحانه ــ المنعم والمتصرف في كل شيء، لأن قوله تعالى: (مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ) احتمل أمرين:

أحدهما: اختصاص الخالق ــ سبحانه ــ بصيرورة الأمور والتدابير، داخل هذا الكون، دون أحد غيره من الألهة المزعومة .

ثانيهما: إعلام المخاطب بهذه القوة الجبارة التي تسيطر على الملكوت، فيبطل ما يدعي من التشريك والادعاء الكاذب .

كما ظهرت بلاغة التعبير بالنفي والاستثناء في هذا المقام، في ترسيخ العقيدة لدى السامعين، وقوة حجتهم، وسلامة منطقهم؛ إذ هذه الأشياء مرئية ومحسوسة للجميع، وهذا كله يقتضي التسليم بعبادته، والإيمان بربوبيّته على جميع خلقه .

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) [2]، فالقصر في الآية محل الشاهد جاء منبهًا ومثيرًا لنفس المخاطب وجوارحه، فهذه النعم الطيبة التي تحرك النفس والوجدان، تجعل المخاطب متيقظًا ومتفكرًا في صانع هذه النعم على أجمل كيفية، وهذا كله يدله على التوحيد والاستسلام والإقرار بأنه ــ تعالى ــ هو الخالق المعبود لا غيره. وتظهر بلاغة التعبير بجملة

(١) ينظر: بحر العلوم (١٠٤/٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٢).

القصر في الآية محل الشاهد في تقديم المسندإليه (إياه) على المسند (تعبدون) الذي أكد اختصاص الخالق بالعبودية، بمعنى نخصك دون غيرك، ولو جاء الكلام من غير تقديم وقلت:(تعبدون إياه) لما وجدت هذا المعنى، بل احتمل المشاركة في العبادة، أو أن يكون المعبود غيره أصلًا، لكن التعبير بالقصر عن طريق التقديم، أحجم المنكر، ودفع الشبهة، وجعل السامع في يقظة وتنبه نحو توحيد المعبود وتفرده بالعبادة دون غيره .

وعند مطالعة السياق نجد أن التعبير بالقصر بطريق التقديم هو الأفضل في هذا المقام، فالله ــ تعالى ــ حين أمر المؤمنين بالطاعة والشكر له، وكان ذلك لا يكون إلا بالتوحيد له، علقه باختصاصهم إياه بالعبادة فقال: (إن كنتم إياه تعبدون) أي: وحده لا شريك له، وهنا تظهر بلاغة التعبير بالقصر عن طريق التقديم في كون الاختصاص سببًا لهذا الشكر، فإذا انتفى الاختصاص الذي هو السبب انتفى الشكر، وأيضًا إذا انتفى المسبب الذي هو الشكر انتفى الاختصاص؛ لأن السبب واحد، فهما متساويان يرتفع كل واحد منهما بارتفاع الآخر [(١)]، وشكر المنعم على النعمة والتنبه إليها يؤكد رسوخ العقيدة وسكونها في قلب المؤمن .

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)[(٢)]، وقوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ *مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [(٣)]، وقوله تعالى: (مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ) [(٤)] .

(١) ينظر: نظم الدرر (٢/٣٣٩).
(٢) سورة الحجر، الآية (٨٥).
(٣) سورة الدخان، الآيتان (٣٨، ٣٩).
(٤) سورة الأحقاف، الآية (٣).

جاء النظم القرآني مستخدمًا القصر بطريق النفي والاستثناء في قوله: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ)، وقوله: (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ)، وقوله: (مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ)، تأكيدًا وتنبيهًا على وحدانية ربوبيته ــ سبحانه ــ في صنع السماوات والأرض وما بينهما من أصناف على إقامة الحق والعدل بين الخلق(١)، والمخاطب حين يعلم أن صانع السماوات والأرض وكل شيء بينهما هو الخالق ــ سبحانه ــ يقر له بالعبودية والوحدانية، ولا يجعل له شريكًا من مخلوقاته.

وتظهر بلاغة التعبير بالقصر بطريق النفي والاستثناء في هذا المقام، في اختصاص الخالق ــ سبحانه ــ أنه هو الرب الخالق والصانع، فـ " المخلوقات قائمة بأمره، فلو كان الأمر مخلوقًا لافتقر إلى أمر آخر يقوم به، وذلك الأمر إلى أمر آخر إلى ما لا نهاية له، وذلك محال، فثبت أن أمره الذي هو كلامه قديم أزلي غير مخلوق، ليصح قيام المخلوقات به" (٢)، فالمقصور عليه في محل الشاهد (بالحق)، دل على أنه ــ تعالى ــ " خلقهما بالحق، يعني: القول وهو قوله للمكونات:(كن)، فلو كان الحق مخلوقًا لما صح أن يخلق به المخلوقات؛ لأن الخلق لا يخلق بالمخلوق " (٣)، فالتعبير بالقصر في هذا المقام أبطل زعم الكافرين في كونه ــ سبحانه ــ مخلوقًا؛ إذ المخلوق لا يستطع خلق الخلق، فبطل ما يزعمون.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨٩/٢٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبي" لأبي عبد الله محمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح/أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش (٢٢٢/٧)، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

(٣) المرجع السابق (٢٢٢/٧).

ومن بلاغة النظم القرآني في هذا المقام استخدام النفي والاستثناء، فالمقام استدعى ذلك وتطلبه، فمن خصائص النفي والاستثناء بطريق القصر، إبطال ظن المخاطب في زعمه أن الله ــ سبحانه ــ مخلوقٌ، وتأكيدًا على ثبوت المخلوقات له دون غيره(١).

وقد ورد ما أشبه ذلك في آية أخرى في قوله تعالى: (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) (٢)، فـ " ليس المعنى: أني لم أزد على ما أمرتني به شيئا، ولكن المعنى: أني لم أدع ما أمرتني به أن أقوله لهم وقلت خلافه " (٣).

وعند التطلع إلى السياق ، نرى أن أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء هو المناسب في هذا المقام؛ حيث دفع ظن الكافرين وما علق بأذهانهم من كون الخالق ــ سبحانه ــ مخلوقًا، كما خص هذا التعبير الخالق ــ سبحانه ــ بالربوبية المطلقة على مخلوقاته، وإظهارًا لقدرته التي خلقت (السماوات) على ما لها من العلو والسعة (والأرض) على ما بها من المنافع والغرائب (وما بينهما) من هؤلاء المكذبين وعذابهم، ومن المياه والرياح والسحاب المسبب عنه النبات وغير ذلك (إلا بالحق) أي: خلقاً ملتبسًا بالحق، فيتفكر فيه من وفقه الله فيعلم النشأة الآخرة بهذه النشأة الأولى، أو بسبب الحق من إثبات ثوابت الأمور ونفي مزلزلها، لتظهر عظمته بإنصاف المظلوم من الظالم، وإثابة الطائع وعقاب العاصي في يوم الفصل (٤).

فالتعبير بالنفي والاستثناء بطريق القصر، كان أداة هامة في تنبيه المخاطب، وترسيخ المعاني الإيمانية في النفوس، ودفع الوساوس والشكوك، فكان التجاوب

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز(ص٣٣٧).

(٢) سورة المائدة، من الآية (١١٧).

(٣) دلائل الإعجاز(ص٣٣٧).

(٤) ينظر: نظم الدرر (٨٢/١١).

والمشاركة من السامع، قد خلص به إلى ربوبية الخالق ــ سبحانه ــ وسيطرته على مخلوقاته وقطع الشرك .

وعند التأمل في الآيات ــ محل الشاهد ــ نرى أن آية الأحقاف تزيد جملة: (وأجل مسمى)؛ تأكيدًا على أن صنع السماوات والأرض وما بينهما كان بأجل معلوم عنده يفنيه إذا هو بلغه، ويعدمه بعد أن كان موجودًا بإيجاده إياه [1]، وهذا المعنى يفيض بالحكمة اللامتناهية للخالق ــ سبحانه ــ مما يثمر في توطين دعائم وتوثيق العقيدة ورسوخها عند المسلمين، وإبطال مزاعم المشركين.

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)[2]، جاء القصر بطريق النفي والاستثناء في هذه الآية الكريمة تنبيهًا للمخاطب على قدرته الباهرة وثبوت ربوبيته على خلقه، ونفي الشرك، فالمقصور عليه (كنفس واحدة) أفاض معنى القوة والقدرة للإله المعبود، فجميع المخلوقات في الخلق والبعث، كخلق نفس واحدة وبعثها، فالقليل مثل الكثير، وهذا يدل على قدرته التي لا تطالعها قدرة، وقوته التي لاتضاهيها قوة، كما دل القصر بطريق النفي والاستثناء على بطلان ظن المخاطب الذي أنكر البعث والحساب بعد الموت.

وعند مطالعة السياق، نرى أن أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء هو المناسب للمقام، فالآية محل الشاهد جاءت ردًا على إنكار منكر، فسبب نزول الآية، أن أبي بن خلف ومن شاكله من المشركين، قالوا للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ " إن الله ــ تعالى ــ قد خلقنا أطوارًا، نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا، ثم تقول إنا نبعث خلقًا جديدًا جميعًا في ساعة واحدة! فأنزل الله تعالى:(ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة)؛

(١) ينظر: المرجع السابق (١١١/١٢).

(٢) سورة لقمان، الآية (٢٨).

لأن الله ــ تعالى ــ لا يصعب عليه ما يصعب على العباد، وخلقه للعالم كخلقه لنفس واحدة" [١] .

فالتعبير بطريق النفي والاستثناء أبطل زعم الكافرين للبحث والحساب، وأكد قدرته ــ تعالى ــ الباهرة التي تثبت ربوبيته على خلقه، فخلقه لجميع الخلق كخلقه لنفس واحدة، وبعثه لجميع الخلق كبعثه لنفس واحدة.

هذا، وقد ظهرت بلاغة التعبير بالنفي والاستثناء في هذا المقام في قطع الشرك، واختصاص الخالق ــ سبحانه ــ بالخلق والبعث وحده لا غيره، وقد ذكر الإمام عبدالقاهر ما أشبه النظم القرآني في نحو قولك: (ما جاءني إلا زيد) " دل على اختصاص (زيد) بالمجيء وأن تنفيه عمن عداه، وأن يكون كلامًا تقوله، لا لأن بالمخاطب حاجة إلى أن يعلم أن (زيدًا) قد جاءك، ولكن لأن به حاجة إلى أن يعلم أنه لم يجيء إليك غيره "[٢]، فالنظم القرآني في الآية محل الشاهد، نبه المخاطب على بطلان دعوى المنكرين للبعث والحساب، كما نبه المخاطب على قطع الشرك وثبوت وتخصيص الخلق والبعث يوم القيامة للخالق ــ سبحانه ــ وحده دون غيره .

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى:(قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) [٣]، جاء القصر بطريق النفي والاستثناء تنبيهًا على أن نزول هذه الآيات " المختصة بموسى ــ عليه السلام ــ العصا، واليد، وفلق البحر، والحجر، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ونتق الجبل " [٤]، هي من عند الله ــ

(١) تفسير القرطبي (٧٨/١٤).
(٢) دلائل الإعجاز (ص٣٣٧).
(٣) سورة الأسراء، الآية (١٠٢).
(٤) تفسير الكشاف (٦٩/٣).

تعالى ــ وحده، كما دل التعبير بأسلوب القصر على اختصاص الخالق ــ سبحانه ــ بنزول هذه الآيات.

وعند التطلع إلى السياق تظهر بلاغة التعبير بالقصر بطريق النفي والاستثناء وأنه ناسب المقام؛ لأن فرعون منكر ومعاند، وهذا يتطلب التعبير بأداة النفي والاستثناء التي تدل على اختصاص المقصور عليه بنزول هذه الآيات ونفي ذلك عن غيره .

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [1]، جاء القصر بطريق التقديم في الآية الكريمة في قوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) تنبيهًا وتأكيدًا على أن صفتي الخلق والأمر لله ــ سبحانه ــ فالمقصور عليه خبر المبتدأ (له) المقدم على المبتدأ (الخلق والأمر) أكد أن خلق السماوات والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم وغيرها مختص بالله ــ وحده ــ دون غيره.

وعند مطالعة السياق نرى أن الآية محل الشاهد تدل على الوحدانية الخالصة لله ــ تعالى ــ فالتعبيير بـ (إن) المؤكدة وإسمية الجملة في قوله: (إن ربكم) تأكيد وإيضاح لما يأتي من مضمون الخبر.

كذلك التعبير بصفة الربوبية (ربكم) إشارة إلى أن العباد مع هذا الملكوت من صنع الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ وأنهم مخلوقون مربوبون، وأنهم مندرجون تحت وجود الممكنات، وأنه لهم رب، ومالك لأمورهم وتصاريف أحوالهم، لا يملكها أحد غيره.

(١) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

ثم انظر إلى التعبير باسم الجلالة (الله) عقب صفة الربوبية (ربكم) إشارة إلى أن كل من كان موصوفا بالربوبية، فإنه مستحق للإلهية لا محالة؛ لأن استحقاقه للإلهية إنما يكون إذا كان منعما بأصول النعم، والرب هو المالك، ومن كان مالكا للشيء فله التصرف فيه، ومن ملك الشيء كان مستحقا لإعطائه [١].

وتظهر بلاغة التعبيرالقرآني في تقديم صفة الربوبية على الألوهية في قوله تعالى: (إن ربكم الله) ولم يقل: (إن الله ربكم)؛ إشارة إلى أن من كان موصوفًا بالربوبية فهو يستحق أن يكون إلهًا معبودًا، فالربوبية تعني التربية والقوامة على الشيء، و"الرَّبُّ يُطْلَق فِي اللُّغَةِ عَلَى المالكِ، والسَّيِّدِ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّمِ، والمُنْعِمِ" [٢]، ولما كانت الربوبية تدل على التربية والملك والقوامة وصاحب النعمة، أختص بها الخالق ــ سبحانه ــ فـ " الرَّبُّ: هُوَ اللَّهُ ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ هُوَ رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالكُه، وَلَهُ الرُّبوبيَّة عَلَى جَمِيعِ الخَلْق، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ رَبُّ الأَرْبابِ، ومالِكُ المُلوكِ والأَمْلاكِ. وَلَا يُقَالُ الربُّ فِي غَيرِ اللهِ، إِلّا بالإِضافةِ " [٣].

وقد أشار صاحب الطراز إلى نكتة تقديم صفة الربوبية على الألوهية في قوله تعالى: (إن ربكم الله)، بقوله: " الإلهية أعم من الربوبية، والربوبية أخص منها، جريا على قانون القياس فى العربية، من أن خبر المبتدأ لابد من أن يكون أعم منه، ولهذا جاز أن يقال: الإنسان حيوان، ولا يقال: الحيوان إنسان، فالإلهية أعم من الربوبية، فالربوبية على الحقيقة لا يستحقها إلا هو، لأن معناها لا يصلح إلا فيه، وأما الإلهية وهى استحقاق العبادة، فقد شاركه فيها غيره، زعمًا أن غيره يستحق العبادة، فأما

(١) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلويّ(ص٧٦)، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) لسان العرب، مادة (رب ب)، (٣٩٩/١).

(٣) لسان العرب، مادة (رب ب)، (٣٩٩/١).

الربوبية وهى الملك، فإنه لا يخلص على الحقيقة إلا له لكونه مالك المكونات دون غيره، ومن عجيب ما تضمنه هذا التنبيه أنه جمع الوصفين منبها على عظم القهر والاستيلاء، فلهذا كان ربًا مالكًا، وعلى كونه مختصًا بصفات الجلال، فلهذا كان إلها" [(١)].

وتظهر بلاغة التعبير القرآني ــ في هذا السياق ــ في ترسيخ العقيدة وثبوتها؛ لأن من يكون " هذه حاله فى التكوين والإيجاد لا يكون إلا مختصًا بالإلهية والربوبية دون غيره، لما قد تقرر ببرهان العقل استحالة مكون لهذه الأشياء سواه، فكأنه قال: إن ربكم الله الذى من شأنه خلق هذه المكونات الباهرة لا رب ولا إله لكم غيره"[(٢)] .

كما أظهر القصر بطريق التقديم ــ في الآية موضع الشاهد ــ زيادة التنبيه وسكون العقيدة وثبوتها في القلب، وقطع الشرك، فالسامع حين يسمع التعبير بأسلوب القصر في النظم القرآني، يزداد رسوخه واطمئنانه بأن خالق الكون وموجده هو الله الواحد، وتأكيد تخصيص الإيجاد ورجوع الأمر وصيروريته للخالق ــ سبحانه وتعالى ــ دون غيره.

وظهرت بلاغة التعبير بأسلوب القصر ــ في هذا المقام ــ في إحجام الخصم وإبطال دعواه، فـ " قد أوهم إبليس خلقًا كثيرًا أنه لا إله ولا صانع، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس، ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه، وهل يشك ذو عقل في وجود صانع؟! فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطًا مبنيًا علم أنه لا بد له من بان بناه، فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة، والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدل على صانع ...، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على

(١) الطراز(ص٧٥).

(٢) المرجع السابق (ص٧٦).

اللطيف الخبير" [١] .

ومن خلال النص السابق ندرك قيمة التعبير بالقصر البلاغي بطريق التقديم؛ حيث كشف للسامع تخصيص الإيجاد الأزلي وحكمته ــ تعالى ــ في صورة بديعة تجعل السامع يقارن ويشاهد هذا الملكوت من السماوات والأرض، الليل والنهار، الشمس والقمر ...إلخ، فهذه الأشياء " دالة على الوجود بلا أولية؛ لأنه لو كان معدومًا لاستحال منه الإيجاد لهذه المكونات، لأنه لا فرق فى مسالك العقول بين إسنادها إلى العدم وبين إسنادها إلى مؤثر هو عدم، وأنه لا أولية لوجوده، إذ لو كان له أول لاحتاج إلى مؤثر فإما أن يفتقر كل واحد منهما إلى صاحبه، وهو الدور، أو يحتاج إلى مؤثر ومؤثره إلى مؤثر، إلى غير غاية، وهو التسلسل، وكلاهما محال فى العقل"[٢]، فالتعبير بالقصر وما تآزر معه من معان بلاغية ساعد على رسوخ العقيدة في النفس وأنه ــ سبحانه ــ لا أولية لوجوده عقلًا ونقلًا .

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) [٣]، وقوله تعالى:(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ)[٤] .

جاء التعبير بالقصر عن طريق التقديم في قوله: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، تنبيهًا للمخاطب على عظيم قدرته ــ تعالى ــ في اختلاف الخلق، وأصواتهم،

(١) تلبيس إبليس لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، (ص٤٠)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) الطراز(ص٧٧).

(٣) سورة الروم، الآية (٢٢).

(٤) سورة الشورى، الآية (٢٩).

وألوانهم، وجمعهم يوم القيامة، وقد اتخذ النظم القرآني أسلوب القصر تعبيرًا وتأكيدًا لهذا المعنى؛ ترسيخًا للعقيدة وتأكيدًا وتخصيصًا على أن هذه الأمور من الخلق واختلاف الأشكال واللغات، والبعث والنشور هي لله خاصة، وإذا كان الأمر كذلك فينبغي عليكم أيها المسلمون أن تعبدوه وتوحده وتخلصوا العبادة له دون غيره من الأصنام والأوثان.

هذا، وقد ساهم أسلوب القصر إسهامًا كبيرًا في توضيح الصورة للمخاطب بطريقة بديعة، فتقديم المسند (ومن آياته)، على المسند إليه (خَلْقُ)، أفاد تخصيص هذه الأمور على الخالق ــ سبحانه ــ دون غيره، كما أفاد هذا التقديم علة أخرى بجوار التخصيص، هي نفي الشريك، فمن كانت هذه قدرته، وهذا شأنه من الإيجاد الأول للسماوات والأرض، وتشكيل الصور من الأبيض والأسود، والأصوات من العرب والعجم... إلخ، والبعث والحساب، فهل هذه القدرة وهذه الحكمة تكون لغير الخالق ــ سبحانه ــ مالكم كيف تحكمون؟!، فالمقصور عليه (ومن آياته) دليل على عظمته ــ سبحانه ــ وقدرته العظيمة، التي لا مثيل لها، وهذا يقتضي التسليم والإذعان له ــ عز وجل ــ.

وعند التأمل في التعبير القرآني ــ في هذا المقام ــ نلمح أن هذه الآيات العظيمة ــ في الغالب ــ آيات محسوسة يراها الناس ويشاهدونها بأعينهم، ويسمعونها بأذانهم، فخلق السموات في ارتفاعها واتساعها، وسقوف أجرامها، وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات، والأرض في انخفاضها وكثافتها، وما فيها من جبال وأودية وبحار، وقفار وحيوان وأشجار، واختلاف اللسان، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج وهؤلاء بربر...إلخ، ذلك مما لا يعلمه إلا الله ــ تعالى ــ من اختلاف لغات بني آدم [1].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تح/محمد حسين شمس الدين (٢٧٩/٦)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ

كما أن أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان، وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام ظاهرا كان أو خفيا يظهر عند التأمل، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئته لا تشبه أخرى، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر(١).

فكل هذه الأمور المحسوسة كانت أداة قوية في ترسيخ العقيدة في النفس والعقل، وعملت على زيادة الوعي عند أتباع الدين الإسلامي، وكذلك في آية الشورى ما جاء من الدلالة على قدرته وربوبيته كالإخباربما يكون يوم القيام من الإحياء بعد الفناء، والبعث من القبور بعد الموت.

هذا، وقد ساهمت جميع هذه الأمور المحسوسة، والأخبار الواقعة يوم القيامة، في بث روح السكينة والاطمئنان في روح المسلمين، فلم ينخرط أحدٌ ــ في الكثير الغالب ــ من الموحدين مع المنكرين لوجود الله ــ تعالى ــ بل تجد غير المسلمين يتزاحمون على الدخول في الإسلام، مقبلين على عبادة الخالق ــ سبحانه ــ رغم ضعف المسلمين، فكان التعبير بأسلوب القصر بطريق التقديم دليلًا واضحًا على توحيد ربوبية المعبود، وقطع الشرك عنه .

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٢)، جاء القصر بطريق التقديم في قوله: (ولله الأسماء)؛ تنبيهًا للمخاطب على الدعاء بهذه الأسماء العظيمة ؛ لأن هذه الأسماء اختصت بالخالق ــ سبحانه ــ واختص بها، وهي ملازمة له لا تفارقه، عرف بها وعرفت به، فتقديم

(١) ينظر: المرجع السابق (٢٧٩/٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٨٠).

الجار والمجررو الخبر (لله) على المبتدأ (الأسماء) خص الخالق بهذه الأسماء والصفات دون غيره، والمعنى: هي له لا إلى غيره، فتقديم المعمول (لله) على العامل (الأسماء) يفيد الحصر، وذلك أن المعمول مكانه أن يكون بعد العامل، فإذا تقدم فإنه يكون من باب تقديم ما حقه التأخير ، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.

وعند التطلع إلى السياق، نرى أن استخدام القصر بطريق التقديم هو المناسب في هذا المقام؛ لأن في التقديم معنى الاختصاص الذي ساعد في هزم الخصم وزعزع عقيدته الفاسدة، فتقديم المقصور عليه مع إفادته معنى الاختصاص، نرى معناه يفيد قطع الشرك، وترسيخ العقيدة عند الموحدين .

وقد أكد هذا المعنى، السياق وسبب نزول هذه الآية، وهو" أن رجلا دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربًا واحدًا فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فأنزل الله ــ تعالى ــ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها الرحمن الرحيم الملك القدوس ونحوه، فدعا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الرجل فقال: (ادع الله أو ادع الرحمن رغما لأنف المشركين)" [(١)].

كما كشف التعبير بالقصر بطريق التقديم في تقديم المسند (لله) على المسند إليه (الأسماء)، الثواب الجزيل لمن حفظ هذه الأسماء للخالق ــ سبحانه ــ فقصر هذه الأسماء على الخالق ــ جل وعلى ــ تدل على معنى عظيم يستحق لمن عرفها أن يكون له الأجر والثواب من الله ــ تعالى ــ فقد ورد في الحديث الشريف " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ" [(٢)]، فهذه الأسماء جملة تساعد على رسوخ عقيدة المسلم ولاسيما في الدعاء وغيره، فهي تدل مع عظمتها على دلالة

(١) بحر العلوم (٥٦٩/١).

(٢) صحيح الإمام مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تح/محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب في أسماء الله ــ تعالى ــ وفضل من أحصاها، رقم (٢٦٧٧)، (٢٠٦٣/٤)، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الإله الواحد ونفي الشريك عن الخالق ــ سبحانه ــ فمن أسمائه ــ تعالى ــ " الأحد وأصله الوحد بمعنى الواحد، وهو الذي ليس كمثله شيء، ومنها الصمد وهو السيد الذي صمد إليه كل شيء أي قصده، ومنها القيوم وهو البالغ في القيام بكل ما خلق، ومنها الولي يعني: المتولي أمور المؤمنين"[١] ...إلخ، فهذه الأسماء بوضعها تدل على الإله الواحد، وقطع الشريك .

وقد تآزر مع التعبير بالقصر بطريق التقديم في الدلالة على أن الله ــ تعالى ــ هو الإله الواحد، المنوط بالعبادة وحده لا شريك له، التعبير بفعل الأمر (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ)، فالأمر يدل على الوعيد والتهديد للكافرين "جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك من الكفر بالله، والإلحاد في أسمائه، وتكذيب رسوله" [٢] .

وتظهر بلاغة التعبير بالقصر بطريق التقديم، في التنبيه واليقظة للسامع بهذه الأسماء والصفات العظيمة الخاصة بالخالق ــ سبحانه وتعالى ــ والدعاء بها والاجتهاد في حفظها، كما ظهر من التعبير بالقصر وما تآزر معه من معاني بلاغية، جزاء المنكرين والكافرين يوم القيامة، فكانت الصورة بديعة رائعة، حيث حملت معنى الترغيب والترهيب .

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ)[٣]، جاء القصر بطريق التقديم في قوله تعالى: (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ) تنبيهًا للمخاطب على أن علم وقت قيام القيامة لا يعلمه إلا هو، وهذا يقتضي الإيمان والتوحيد له

(١) بحر العلوم (٥٦٩/١).
(٢) تفسير الطبري (٢٨٥/١٣).
(٣) سورة فصلت، الآية (٤٧).

ــ سبحانه ــ فمن يعلم وقت قيام الساعة والمحاسبة والجزاء أولى بالعبادة والاستعانة، فتقديم المعمول (إليه) على العامل (يرد) أفاد هذا الحصر وجعله خاصًا ومقصورًا على الله ــ تعالى ــ دون غيره، فتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.

وتظهر بلاغة التعبير بأسلوب القصر بطريق التقديم في الدلالة على تنبيه المخاطب ويقظته إلى أن الوحدانية للمعبود الواحد، فكونه ــ تعالى ــ يعلم وقت وقوع الساعة، يستلزم الإيمان والرجوع إليه سبحانه.

كما ظهرت بلاغة التعبير بطريق القصر، في ثبوت الوحدانية، ونفي الشريك عنه ــ جل وعلا ــ؛ لأن خصوصية العلم تقتضي التنزيه عن النقائص، والألهة والأصنام... إلخ، يعلوها النقص، و" المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل بها؛ لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم" [(١)]، فكان ثبوت وحدانيته ــ تعالى ــ ونفي الشرك عنه واجبًا عقليًا وشرعيًا .

هذا، وقد ساعد التعبير بطريق القصر بطريق التقديم في قوله تعالى: (إليه يرد علم الساعة) تنبيه السامع ويقظته على شمول علم الله ــ تعالى ــ وحكمته على كل شيء، فـ " كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريًا منه، بل هو أحق به، والله ــ سبحانه ــ له المثل الأعلى، لا يستوي هو والمخلوق في قياس شمول، ولا في قياس تمثيل، بل كل ما ثبت لمخلوق من كمال، فالخالق ــ تعالى ــ أحق به، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما، فتنزيه الخالق عنه أولى " [(٢)] .

وعند التطلع إلى السياق، نرى ما يتآزر مع التعبير بالقصر بطريق التقديم في الدلالة على وحدانيته ــ تعالى ــ وعلمه الذي لا ينقطع، كالتعبير بالقصر بطريق النفي

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية (١/١٤٩).
(٢) المرجع السابق (١/١٤٩).

والاستثناء في قوله: (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ)، فالقصر في قوله تعالى: (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) دل على قدرة الله ــ تعالى ــ وعلمه الواسع، فـ (ما تخرج من ثمرة﴾ إلا بعلمه، " وقرأ نافع وابن عامر وحفص (من ثمرات) بالجمع لاختلاف الأنواع" [(١)]، و(من أكمامها) أي: من أوعيتها جمع (كم) بالكسر، وأوعية الطلع معروفة في النخل، وكذلك معروفة في الأزهار، فما تخرج من ثمرة من كِمِّها صغيرة أو كبيرة مأكولة أو غير مأكولة إلا بعلم الله ــ سبحانه وتعالى ــ وكذلك العطف في قوله تعالى:(وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ) أي: ما تحمل من أنثى ولا تضع بمكان إلا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به [(٢)] .

وهنا ظهرت بلاغة القصر في الإقرار والإذعان للخالق ــ جل وعلى ــ وأنه عالم بكل شيء منزه عن كل النقائص، فإنك متى أقررت أن الله ــ تعالى ــ خالق الثمار، والأجنة، لزم من إقرارك هذا أن يكون الله عالمًا بها؛ لأنه لا يمكن أن يخلقها وهو لا يعلم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[(٣)]، ولزم أيضًا قطع الشرك عنه ــ سبحانه ــ وكان هو المعبود الواحد.

وعلى وجه الجملة ساهم التعبير بالقصر في تنبيه ورسوخ العقيدة عند الموحدين، وعمل على قطع الشرك، وإبطال اعتقاد الكافرين والمنكرين لعلمه وقدرته عز وجل .

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى :(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/٧٤).
(٢) ينظر: المرجع السابق (٥/٧٤).
(٣) سورة الملك، الآية (١٤).

وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) [1]، اشتملت الآية الكريم على تكرار أسلوب القصر في نظمها؛ إشارة إلى " تمجيد الله ــ تعالى ــ وذكر صفاته؛ إبطالًا لكفر الكافرين وقطعًا لرجائهم؛ لأن فيها من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، وجعلت هذه الآية ابتداء لآيات تقرير الوحدانية والبعث، وأودعت هذه الآية العظيمة هنا لأنها كالبرزخ بين الأغراض السابقة واللاحقة" [2]، وجاء القصر بطريق النفي والاستثناء في أولها في قوله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، تأكيدًا على أن الألوهية مقصورة عليه ــ سبحانه ــ لا تتجاوزه إلى غيره، وهذا القصر دليل على توحيد الألوهية، وقد تحدثت عن مثله في مبحثه .

وقد جاء القصر بطريق التقديم في قوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)، تأكيدًا على ملكية السماوات والأرض والموجدات له ــ سبحانه ــ لا يشاركه فيها أحد، فتقديم المسند (له) على المسند إليه (السماوات والأرض) أفاد حصر السماوات والأرض وما فيهما من الموجودات هو لله ــ عز وجل ــ لا يشاركه فيه أحد.

وقد أشار إلى هذا المعنى البلاغي الطاهر ابن عاشور في قوله: " واللام للملك، والمراد بالسماوات والأرض استغراق أمكنة الموجودات، فقد دلت الجملة على عموم الموجودات بالموصول وصلته، وإذا ثبت ملكه للعموم ثبت أنه لا يشذعن ملكه موجود فحصل معنى الحصر، ولكنه زاده تأكيدًا بتقديم المسند ــ أي لا لغيره ــ لإفادة الرد على أصناف المشركين، من الصابئة عبدة الكواكب كالسريان واليونان ومن مشركي العرب؛

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥٥).

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، (١٧/٢)، ط، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

لأن مجرد حصول معنى الحصر بالعموم لا يكفي في الدلالة على إبطال العقائد الضالة، فهذه الجملة أفادت تعليم التوحيد بعمومها، وأفادت إبطال عقائد أهل الشرك بخصوصية القصر، وهذا بلاغة معجزة " (١).

فالتعبير بالقصر ــ في هذا المقام ــ أفاد تنبيه السامع وإقراره بأنه ــ تعالى ــ له ملك السماوات والأرض وجميع الموجودات، فإذا أقر وعلم بذلك علم أنه هو المعبود الواحد، كما ظهر من خلال التعبير بالقصر، قطع الشرك ونفي الشريك عنه ــ تعالى ــ فهو الإله الواحد لا غيره، فـ (اللام) بمعنى الملك، وقد قدم الجار والمجرور (له) لحصر ملكية السماوات والأرض وعموم الملكوت من الموجودات به لا بغيره، فملك كل ذلك مقصور عليه، لا يشاركه فيه أحد.

وقد تآزر مع التعبير بأسلوب القصر ما يدل على هذا المعنى، كحسن الافتتاح باسم الجلالة (الله) الذي يدل على المعبود الواحد الذي لا شريك له، والطباق في قوله: (الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)، " فإن النوم موت وغفلة، والحي القيوم يناقضه"(٢)، وقيل: " المنامُ: المَوْتُ الخَفيفُ، والمَوْتُ: النَّومُ الثَّقِيلُ" (٣)، وكذلك الطباق بين (يعلم ما بين أيديهم) أي: الدنيا، (وما خلفهم) أي: الآخرة (٤)، فهذه المعاني المفادة من القصر وما تآزر معه من معاني بلاغية ساهمت في ترسيخ العقيدة لدى الموحدين،

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) (٣/٢٠).

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح/صدقي محمد جميل (٢/٦٢٠)، ط، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي(ت: ١٢٠٥هـ)، ت/مجموعة من المحققين، مادة (م و ت)، (٥/١٠٠)، ط، دار الهداية.

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٤/٥٣٥).

وأحبطت محاولات الإنكار عند الكافرين، وأبرزت ــ للسامع ــ إحاطة علمه ــ تعالى ــ لكل شيء، ففهم السامع ووعى أنه ــ سبحانه ــ هو المعبود الواحد لاشريك له.

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (١)، وقوله تعالى: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٢)، وقوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(٣)، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (٤)، وقوله تعالى: (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا)(٥)، وقوله تعالى: (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(٦)... إلخ.

جاءت هذه الآيات ــ ومثلها كثير في القرآن الكريم ــ بأسلوب القصر بتقديم ما حقه التأخير في قوله تعالى: (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)؛ تنبيهًا للمخاطب ويقظته نحو المعبود الواحد الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهما، فتقديم المسند (له) على المسند إليه (السماوات والأرض)، أفاد حصر السماوات والأرض وما فيهما من الموجودات لله ــ تعالى ــ وحده دون غيره.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٧).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٠).

(٣) سورة الأعراف، من الآية (١٥٨).

(٤) سورة التوبة، الآية (١١٦).

(٥) سورة الفرقان، الآية (٢).

(٦) سورة الزمر، الآية (٤٤).

وتظهر بلاغة القصر ــ في هذا المقام ــ في ثبوت ملكه ــ تعالى ــ على كل موجود، وإذا كان الأمر كذلك فقد تحقق معنى الحصر في تخصيص الملكوت وما حوى لله وحده، ولكنه ــ تعالى ــ أراد زيادة التأكيد بتقديم المسند (له) على المسند إليه (السموات والأرض) أي: هذا له وحده لا لغيره ردًا على المشركين، وإبطالًا لعقيدتهم الباطلة، فلو جاء التعبير على أصله من غير تقديم وقلنا: (السماوات والأرض له) لما وجدت ما تجده في التقديم من رد الدعوى وإبطال المعتقد الفاسد، وتنبيه السامع ويقظته حتى يكون متيقظًا لرد هذه الشكوك والافتراءات في كل وقت على مر الزمان وليس مرتبطًا بزمن دون آخر .

فالتعبير بالقصر في نحو الآيات السابقة مثَّل حجة رادعة أمام كل خائن ومنافق، شك ولو بقدر ذرة، أن الله ــ تعالى ــ متصف بالنقص والضعف، فإذا علم أن الله ــ تعالى ــ له ملك كل شيء من السماوات والأرض وسائر الموجودات، أقر بأنه هو الإله الواحد فأخلص في عبادته ودعا إليه غيره .

فالتعبير بالقصر جاء تنبيهًا وردًا على إعتقاد المنكرين والكافرين وتبديدًا لمزاعمهم في وجود الشريك لله ــ تعالى ــ وثبوتًا لملكوته ــ تعالى ــ على جميع خلقه بصورة لا تحتمل الشك والتلون .

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) [1]، جاء القصر بالتقديم في قوله تعالى: (لله ملك السماوات والأرض)، وتقديم ما حقه التأخير أفاد الحصر، فقد حصر ملك السماوات والأرض وما يتعلق بهما على المقصور عليه اسم الجلالة (لله).

وتظهر القيمة البلاغية لأسلوب القصر في هذا المقام في أنه ليس دالًا على

(١) سورة الشورى، الآية (٤٩).

الحصر بمفهومه العام وفقط من حصر ملكه ــ عز وجل ــ على السماوات والأرض، بل أراد الله ــ تعالى ــ الإشارة والتنبيه إلى قدرته وسيطرته على خلقه فهو يخلق ما يحب خلقه، قادر على أن يهب للرجل ذكورًا ليست معهم أنثى، وأن يهب للرجل ذكرانًا وإناثًا، فيجمعهم له جميعًا، (ويجعل من يشاء عقيما) لا يولد له [1]، ومن كانت هذه صفته من القدرة والسيطرة على حمل المرأة وجعلها عقيمًا، وتحديد نوع الجنين، ومن بيده تصريف الأمور، هو جدير بأن يكون المعبود الواحد لا شريك له.

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)[2]، جاء القصر في الآية محل الشاهد تنبيهًا وتأكيدًا على أن المقصور عليه مخصوص بالرزق والقوة دون غيره، وقد كشف التعبير بضمير الفصل مع إفادته الحصر، التعريض بالكافرين؛ لأنهم كانوا يقربون الطعام والذبائح للأصنام، وهذا فيه من التوبيخ والإنكار ما فيه، فكأنه ــ سبحانه ــ أراد أن ينبه السامع على غباوة هؤلاء الكافرين، فهذه الألهة التي لا تنفع ولا تضر، وهذا الطعام الذي يلقونه أمامها، ربما بالت عليه الحيوانات، فمن يعي ويسمع أفلا يعقل هؤلاء؟!، فهذه الأمور تجعل السامع في يقظة دائمة، فسرعان ما يقر بالعبادة للخالق الواحد.

وتظهر بلاغة التعبير بضمير الفصل في هذا المقام في زيادة الطمأنينة والسكينة لدى السامع، فـ " لما كان الاهتمام بأمر الرزق – وقد ضمنه سبحانه – شاغلاً عن كثير من العبادة، وكان الإنسان يظن أن الذي حصل له ما حواه من الرزق سعيه، قال حاصرًا ذلك مؤكدًا إزالة لتلك الظنون معللًا لافتًا الكلام إلى سياق الاسم الأعظم الذي لم يتسم به غيره، نصًا على المراد وبالغًا من الإرشاد أقصى المراد: (إن الله) أي: المحيط

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١/٥٥٧).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٨).

بجميع صفات الكمال المنزه عن شوائب النقص (هو) أي لا غيره (الرزاق) أي: على سبيل التكرار لكل حي وفي كل وقت" [١]، فالتعبير بضمير الفصل كان أداة مهمة في رسوخ العقيدة؛ حيث يؤدي العبد عبادة ربه على أحسن حال، ولا يجعل شغله الشاغل البحث عن الرزق فقد ضمنه الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ له على التكرار والدوام.

ومن أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب:

قوله تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) [٢] ، دل التعبير بالقصر بضمير الفصل في هذا الآيات على تنبيه السامع ويقظته على حصر المقصور عليه في الخالق ــ سبحانه ــ دون غيره، فهو الذي أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها، وأبكى أهل النار في النار بدخولهم لها، وأضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم، وأنه هو أمات من مات من خلقه، وأنه هو أحيا من حيا منهم، وأنه هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه، فجعل له قنية أصول أموال، يقال: "وأَقناه اللهُ حَتَّى قَنِيَ قِنًى وَهُوَ أَن يَصيرَ لَهُ قِنيةٌ مِنَ الْمَالِ"[٣] ، وأنه هو رب الشعري، يعني: النجم الذي يسمى هذا الأسم، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبدوه من دون الله [٤].

وتظهر بلاغة التعبير بضمير الفصل في هذا المقام في ترسيخ العقيدة وثبوتها، فإذا كانت هذه الصفات مقصورة على الخالق ــ سبحانه ــ لا تتعداه إلى غيره، أصبح السامع مغمورًا بالسعادة النفسية التي تملأ الأرض خيرًا ، وانشراحًا بهذا الدين الذي يعلوه العدل والحق من قبل المعبود سبحانه ..

(١) نظم الدرر(٤٨٢/١٨).
(٢) سورة النجم، الآيات (٤٣ــ٤٩).
(٣) لسان العرب، مادة (ق ن ي).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٥٤٨/٢٢ ــ ٥٥٠).

المبحث الثالث

أثر أسلوب القصر في تصحيح وتثبيت عقيدة المخاطب

كشف أسلوب القصر تصحيح عقيدة المخاطب وتثبيتها حتى يكون موحدًا للإله المعبود ونفي الشرك، فترى المخاطب عند سماع آيات التوحيد بأسلوب القصر ــ ولا سيما في القصر الحقيقي ــ قد ازداد اطمئنانًا وتمكينًا نحو العقيدة الخالصة التي لا تقبل الشرك مع المعبود الواحد، وذلك أن أسلوب القصر أفاد مضمون الجملة وأكدها في سمع المخاطب؛ وذلك أنه تأكيد فوق تأكيد؛ لأنه يضغط جملتين في جملة، فهو تركيز شديد في الجملة [١].

وتظهر بلاغة القصر في تصحيح عقيدة المخاطب، حيث إن ثبوت العبودية لله ــ تعالى ــ نفى كل فرد من أفراد الألهة ثم حصر ذلك المعنى فيه ــ جل وعلى ــ لأن هذه الصورة من القصر إذا جاء فيها اسم الجلالة مقصورًا عليه انتفى واختفى كل ما يقابله، فكانت العقيدة لدى المخاطب قوية ومتمكنة.

هذا، ومما جاء من أثر أسلوب القصر في تصحيح عقيدة المخاطب وثبوتها، قوله تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) [٢]، دل النفي والاستثناء بطريق القصر في الآية محل الشاهد على تصحيح العقيدة وثبوتها عند المخاطب، فلا معبود غير الله ــ تعالى ــ فالمقصور عليه هو المستثنى أي: الواقع بعد أداة الاستثناء، تقدم أو تأخر، وظهرت بلاغة التعبير القرآني في هذا المقام في كونه " نفى أن يكون شيء يستحقّ العُبودَة غير الواحد الذي لا شريك له في ملكه " [٣] .

---

(١) ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية (ص:٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٦٣).

(٣) تفسير الطبري (٦/٢٧١).

وقد كشف النظم القرآني ثبوت الوحدانية للخالق ــ سبحانه ــ في قوله تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، حيث قصر الألوهية على الله ــ تعالى ــ قصرًا حقيقًا، ونفى كل فرد من الآلهة، وحصرها في الخالق ــ تبارك وتعالى ــ فقوله: (إله واحد) فرد في الألوهية لا شريك له فيها، ولا يصح أن يسمى غيره إلهًا، وقوله:(لا إله إلا هو) تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم أصولها وفروعها، ولا شيء سواه بهذه الصفة، فإن كل ما سواه إما نعمة وإما منعم عليه [١].

وعند التأمل في التراكيب ترى ما يتآزر مع التعبير بالقصر في الدلالة على توحيد الإله وترسيخ العقيدة في نفوس السامعين، فجملة (إله واحد) لا تنقسم بوجه من الوجه لا بمجانسة ولا غيرها [٢].

وجملة (لا إله إلا هو) تقرير للخالق ــ سبحانه ــ بالوحدانية ونفي لغيره، فلا يستحق العبادة إلا هو؛ لأنه حائز بجميع العظمة وبيده مجامع الكبرياء والقهر، فهو (الرحمن) الذي عمت رحمته نعمه الزائلة لأعدائه وأوليائه، (الرحيم) الذي خص أوليائه برحمته الباقية[٣].

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح وتثبيت عقيدة المخاطب:

قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [٤]، دل القصر بطريق النفي والاستثناء على قصر العبادة للخالق ــ سبحانه وتعالى ــ وحده وقطع الشريك، فهو ما خلق الجن والإنس إلا لتشهد خلقتهم على وحدانية الله ــ تعالى ــ وربوبيته، وصرف

(١) ينظر: تفسير الكشاف (١/٢١٠).
(٢) ينظر: نظم الدرر(٢/٢٨٠).
(٣) ينظر: المرجع السابق (٢/٢٨١).
(٤) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

العبادة إليه [١]، وهذا يكشف عن تثبيت وتصحيح العقيدة عند المخاطب، فالله ــ تعالى ــ ما خلق الجن والإنس إلا ليأمرهم بعبادته[٢].

وعند التطلع إلى السياق، نرى أن الله ــ تعالى ــ حين قال قبل الآية موضع الشاهد: (وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ... وَذَكِّرْ)[٣]، جاءت الآية محل الشاهد تصحيحًا وتأكيدًا على قطع الشرك، وتسليمًا وتثبيتًا للخالق ــ سبحانه وتعالى ــ بالعبودية.

وقد ذكر الإمام الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) فوائد عظيمة في هذا المقام تتصل بالآية محل الشاهد، وتتآزر مع التعبير بالقصر في توضيح المراد في صورة لطيفة مانصه: " أقصى غاية التذكير، وهو أن الخلق ليس إلا للعبادة، فالمقصود من إيجاد الإنسان العبادة، فذكرهم بها وأعلمهم أن كل ما عداه تضييع للزمان، الثاني: هو أنا ذكرنا مرارًا أن شغل الأنبياء منحصر في أمرين عبادة الله وهداية الخلق، فلما قال تعالى: (فتول عنهم فما أنت بملوم) [٤] بين أن الهداية قد تسقط عند اليأس وعدم المهتدي، وأما العبادة فهي لازمة والخلق المطلق لها وليس الخلق المطلق للهداية، فما أنت بملوم إذا أتيت بالعبادة التي هي أصل إذا تركت الهداية بعد بذل الجهد فيها، الثالث: هو أنه لما بين حال من قبله من التكذيب، ذكر هذه الآية ليبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله فما كان خلقهم إلا للعبادة " [٥].

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (٩٦/٥).

(٢) ينظر: مهيد الأوائل في تلخيص الدلائل لمحمد بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، تح/عماد الدين أحمد حيدر(ص٣٥٧)، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٣) سورة الذاريات، الآيات (٥١ــ٥٥).

(٤) سورة الذاريات الأية (٥٤).

(٥) مفاتيح الغيب "التفسير الكبير" لأبي عبد الله محمد الملقب بفخر الدين الرازي (١٩٢/٢٨)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

فالغاية الرئيسة من إيجاد الخلق هي العبادة للخالق ــ سبحانه ــ وحده، ونفي الشريك، وهذا ما أكده التعبير بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء، فالمقصور عليه (ليعبدون) أفاد هذا المعنى وجعله ظاهرًا للسامع في صورة بديعة، حيث التأكيد باللام واستمرارية الفعل المضارع الذي أفاض عدم انقطاع صفة العبودية وتجددها جيلًا بعد آخر؛ إظهارًا لكينونيته ــ تعالى ــ على خلقه، وهذا يمثل تثبيتًا وتمكينًا للعقيدة في النفس والقلب.

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح وتثبيت عقيدة المخاطب:

قوله تعالى: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[1]، وقال تعلى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) [2]، جاء القصر في الآيتين محل الشاهد بطريق تقديم ما حقه التأخير، تثبيتًا للعقيدة وتأكيدًا على أنه الإله الواحد، واختصاصه ــ سبحانه ــ بصفة الألوهية، ونفي الشرك وقطعه .

هذا، وقد جاء القصرفي الآية الأولى محل الشاهد في قوله تعالى: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)، تأكيدًا على اختصاص المعبود بالعبادة والصيرورة إليه بعد الموت، فتقديم الجار والمجرور على الفعل دل على اختصاص المعبود وقدرته على البعث والحساب، وهذا يقتضي تصحيح وتثبيت العقيدة عند المخاطب.

فالله ــ تعالى ــ حين أخبر عن الرجل المؤمن، وأنه نادى قومه، بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضره غيره [3]، دل هذا على تصحيح وتثبيت العقيدة والسير على الطريق الصحيح.

---

(١) سورة يس، الآية (٢٢).

(٢) سورة الزخرف، الآية (٨٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/٥٠٦)

كما تظهر بلاغة التعبير بالقصر عن طريق التقديم في الآية محل الشاهد، في السكون والاطمئنان عند المؤمن، والخوف والتوبيخ للكافر، فالمؤمن الذي علم أنه راجع إلى خالقه ــ سبحانه ــ حيث الإكرام والجزاء، يسكن قلبه وتهدأ نفسه، والكافر حين يسمع خبر الرجوع إلى الخالق ــ سبحانه ــ يخاف ويتزعزع، حيث العقاب والمؤاخذة، وهذا من أعظم الفوائد في رسوخ العقيدة وسكونها، والسياق كله دل على التوحيد وقطع الشرك .

وجاء التعبير بالقصر بطريق التقديم في آية الزخرف في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) تأكيدًا على الاختصاص واستحقاقًا للألوهية، فتقديم المسند (في السماء، في الأرض) على المسند إليه (إله) دل على احتصاص الخالق ــ جل وعز ــ بصفة الألوهية، ونفي الشرك، وهذا يقتضي تثبيت العقيدة وتصحيحها عند السامع، فالسامع متى استقر عنده أن الإله موجود في جميع الجهات من الكون وليس في مكان معين استقرت عنده العقيدة وثبتت، وحدث عنده التجاوب والمشاركة.

وعند مطالعة السياق نرى أن التعبير بطريق التقديم هو الأولى في هذا المقام، فـ " لما نزه ــ سبحانه ــ عن الولد ودل على ذلك بأنه مالك كل شيء وملكه، وكان ذلك غير ملازم للألوهية، دل على أنه مع ذلك هو الإله لا غيره في الكونين بدليل بديهي يشترك في علمه الناس كلهم" [1]، فلا يحتاج إلى التوحيد عالم وجاهل، بل صفة التوحيد ظاهرة للناس عامة، وهذا يقتضي التثبيت والتقرير في قلب المخاطب .

وتظهر بلاغة النظم القرآني في تقديم لفظ (السماء) على (الأرض) في الآية محل الشاهد؛ " ليكون أصلًا في ذلك يتبع؛ لأن الأرض تبع لها في غالب الأمور، فقال دالًا على أن نسبة الوجود كله إليه على حد سواء؛ لأنه منزه عن الاحتياج إلى مكان أو زمان

(١) نظم الدرر (٤٩١/١٧).

عاطفًا على ما تقديره: تنزه عما نسبوه إليه الذي هو معنى (سبحان) : (وهو الذي) هو (في السماء إله) أي: معبود لا يشرك به شيء (وفي الأرض إله) توجه الرغبات إليه في جميع الأحوال، ويخلص له في جميع أوقات الاضطرار، فقد وقع الإجماع من جميع من في السماء والأرض على إلاهيته فثبت استحقاقه لهذه الرتبة، وثبت اختصاصه باستحقاقها في الشدائد، فباقي الأوقات كذلك من غير فرق؛ لأنه لا مشارك له في مثل هذا الاستحقاق، فعبادة غيره باطلة " [1]، ومن خلال النص السابق نلمح فائدة جلية أشار إليها الإمام البقاعي من خلال القصر بالتقديم، وهي أن التقديم في الآية محل الشاهد ليس الفائدة منه الاختصاص فقط، بل الاختصاص مع استحقاق الألوهية، وهذا يفيض إلى معنى عظيم من التوحيد والرجوع إليه ــ سبحانه ــ وقطع الشرك وتبديده، وتثبيت العقيدة في النفوس والقلوب.

ومن أثر أسلوب القصر في تصحيح وتثبيت عقيدة المخاطب:

قوله تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)[2]، وقال تعالى: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) [3]،وقال تعالى: (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [4]، وقال تعالى: (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) [5] .

يمثل أسلوب القصر بطريق التقديم في الآيات السابقة أداة خالصة في ثبوت العقيدة والتوحيد للخالق ــ سبحانه ــ ونفي الشريك، فتقديم المقصور عليه، للعناية

(١) نظم الدرر (١٧/٤٩١، ٤٩٢).
(٢) سورة الأنعام، الآية (١٦٤).
(٣) سورة العنكبوت، الآية (٥٦).
(٤) سورة الزمر، الآية (٦٦).
(٥) سورة المدثر، الآية (٣).

والاختصاص، ثم انفراده بالعبودية يمثل تصحيحًا وثبوتًا للعقيدة، وتأكيدًا على قطع الشرك.

فالآية الأولى جاء فيها القصر بطريق التقديم في قوله: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا) بتقديم المفعول (غير) على الفعل (أبغي) تأكيدًا على اختصاص المقصور عليه بالعبودة دون غيره من الأصنام والأوثان، وهذا يدل على ثبوت العقيدة وتقريرها عند السامع، فالمعنى : يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ " كيف أوثر عليه بدلا وإنى لا أجد عن حكمه حولا، وكيف أقول بغير أو ضد أو شريك؟ أو أقول بدونه معبود أو مقصود؟ وإن لاحظت يمنة ما شاهدت إلا ملكه، وإن طالعت يسرة ما عاينت إلا ملكه! بل إنى إن نظرت يمنة شهدت يمنه، وإن نظرت يسرة وجدت نحوى يسره" [(١)]، فالمقدم دل على اختصاص المعبود بالعبادة، ونفي الشريك؛ لأنه إله لكل شيء، وهذا يوجب التقرير والتمكين في النفس .

وعند التطلع للسياق نرى أن سورة (الأنعام) بدأت بشمول إلاهيته على السماوات والأرض وغيرهما في قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)[(٢)]، مما دل على ثبوت إلاهيته على خلقه، وأنه لا رب غيره، فجاءت آخر السورة تمثل تصحيحًا وتثبيتًا للعقيدة في النفوس، فكان التعبير بالقصر بطريق التقديم اختصاصًا وعناية له بالعبودية وتفرده على خلقه سبحانه.

وجاء القصر بطريق التقديم في آية العنكبوت في قوله تعالى: ((يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)، تأكيدًا على اختصاص العبودية للخالق ــ سبحانه وتعالى ــ وتثبيتًا لعقيدة المخاطب، فالمقدم (إيَّاي) منصوب بفعل مقدر يدل عليه

(١) لطائف الإشارات " تفسير القشيري " لعبد الكريم بن هوازن القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تح/إبراهيم البسيوني (٥١٦/١)، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

(٢) سورة الأنعام، من الآية (١).

الظاهر تقديره: (فإياي اعبدوا) على الاهتمام أيضًا في التقديم[١].

وعند التأمل في السياق نلمح أن التعبير بالقصر بطريق التقديم يدل على توحيد الألوهية للخالق ــ عز وجل ــ وترسيخ العقيدة وثبوتها في نفوس المخاطبين، فالمخاطب مسلمو أهل مكة، أمرهم الله ــ تعالى ــ " بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله إلى حيث تتهيَّأُ لهم العبادة" [٢]، فالأمر بالهجرة وترك دار الكفر إلى مكان آخر، يساعد على رسوخ وثبوت العقيدة في قلوب المسلمين، وقطع الشرك من عبادة الأصنام والأوثان المنتشرة في مكة آنذاك.

كما أن السياق البعدي لمحل الشاهد يدل على لزوم هذه الهجرة وعدم الخوف من الموت في قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [٣]، فتقديم المسند إليه (إلينا) على المسند (ترجعون) يفيد اختصاص الخالق ــ سبحانه ــ بالبعث والحساب والجزاء على الأعمال، فمن هنا كان أمر الهجرة لشأن العبادة وترك دار الكفر، وعدم الخوف من الموت، يدل على توحيد الألوهية ورسوخها في قلوب المخاطبين، فالسياق في مجمله يدل على اختصاص العبودية لله ــ تعالى ــ وقطع الشرك وتفتيته .

وجاء التعبير بالقصر بطريق التقديم في آية الزمر في قوله تعالى: (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) إظهارًا إلى إنه ــ سبحانه ــ المعبود الواحد، فالتقديم وما يدل عليه من الاختصاص والعناية بالمقدم، أفاد توحيد العبادة لله وحده، فالمقصور عليه (الله) دل

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تح/عبد السلام عبد الشافي محمد (٣٢٤/٤)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تح/عبدالرزاق المهدي (٤١٢/٣)، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٥٧).

على قصر صفة العبودية واختصاصها به دون غيره، وقطع عبادة الأصنام وغيرها، وهذا يدل على تثبيت العقيدة ورسوخها في قلب المخاطب.

والمقام مقام تذكير وتثبيت لقلب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فالله ــ تعالى ــ يذكّر نبيه محمدًا ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويقول له: " لا تعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته، بل الله فاعبد دون كلّ ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد" [(١)]، كما ذكّره ــ سبحانه ــ قبل هذه الآية محل الشاهد بقوله:(قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [(٢)]، تثبيتًا وتأكيدًا للعقيدة، وتوحيدًا للألوهية، ونفيًا لعبادة الأصنام والأوثان، وترهيبًا للنفوس، حيث إنه لا يصلح للعبادة شيء سواه .

وقد جاء من التراكيب ما يتآزر مع أسلوب القصر في الدلالة على الألوهية، وتثبيت العقيدة في قلب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه ــ رضي الله عنهم ــ كالتعبير بجملة الأمر في قوله تعالى: (فَاعْبُدْ، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)، فالأمر بالعبادة والشكر على نعمة الهداية، والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان، يقتضي توحيد الإله المعبود، وترسيخ العقيدة في القلوب والنفوس .

وقد أشار المقام بجانب توحيد الإله المعبود، وترسيخ العقيدة، معنى جديدًا يتمثل في التنبيه والتحذيرللنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعدم الاغترار بقول المشركين له من عبادة غير الله ــ تعالى ــ إضافة إلى إبطال دعوى المشركين إلى عبادة الأصنام والأوثان.

---

(١) تفسير الطبري (٣٢٣/٢١).

(٢) سورة الزمر، الآيتان (٦٤، ٦٥).

وجاء القصر بطريق التقديم في آية المدثر في قوله تعالى: (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) تأكيدًا على اختصاصه ــ تعالى ــ بالألوهية والعبودية، فالمقصور عليه المفعول المقدم (ربك) على الفعل (كبر)، دل على الاعتقاد الجازم بأنه هو الإله الواحد، ونفي الشريك، وهذا يقتضي التثبيت والتقرير للعقيدة في قلب المخاطب، فالله ــ تعالى ــ يخاطب رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن يخلص العبادة له وحده، وأن يقوم له مصليًا داعيًا، وأن يتسبب عن ذلك القيام، الجد والاجتهاد، والوصف له وحده بالكبرياء قولًا واعتقادًا على كل حال، وهذا يقتضي تثبيت العقيدة في النفس والقلب.

وتظهر بلاغة التعبير بالقصر عن طريق التقديم في الآية محل الشاهد، في تنزيه الخالق ــ سبحانه ــ عن الشرك أول كل شيء، وكذا عن كل ما لا يليق به من وصل وفصل، ومن سؤال غيره، والاشتغال بسواه [1]، فالسياق في مجمله يدل على توحيد المعبود وقطع الشرك، وتثبيت العقيدة في النفوس.

(١) ينظر: نظم الدرر(٢٢/٢١) .

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم به الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد ،،،

فمن خلال دراستي لموضوع البحث، توصلت إلى نتائج من أهمها:

- التعبير بجملة القصر، كشف للسامع تخصيص الإيجاد الأزلي وحكمته ــ تعالى ــ في صورة بديعة، تجعل السامع يقارن ويشاهد هذا الملكوت من السماوات والأرض، الليل والنهار ...إلخ، فهذه الأشياء دالة على الوجود بلا أولية؛ لأنه لو كان معدومًا لاستحال منه الإيجاد لهذه المكونات.
- أسهم التعبير بأسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب وتحريك يقظته نحو المطلوب بصورة سريعة، فالتعبير بالمحسوسات، كخلق الإنسان ولونه ولغته، والأخبار الواقعة يوم القيامة...إلخ، تجعل المخاطب مقرًا بعبادة الخالق ــ سبحانه ــ ونفي الشرك.
- كان للقصر أثره الواضح في تنبيه المخاطب على الخطأ وقلب الاعتقاد، خاصة في خطاب النصارى الذين يقولون بتعدد الألهة، وكفار مكة الذين ينكرون الإله تارة، ويعبدون الأصنام والأوثان تارة أخرى.
- كان لجملة القصر أثرها البالغ في تصحيح العقيدة، وزيادة الاطمئنان والسكينة عند السامع.
- أظهر التعبير بجملة القصر مضمون تأكيد العقيدة نحو المخاطب، فجملة القصر هي بمثابة جملتين في جملة.
- كشف التعبير بجملة القصر قيمته البلاغية والنفسية لدى المخاطب؛ وذلك من خلال التعريض بالكافرين وتوبيخهم.

- أظهر التعبير بجملة القصر نوعًا من التجاوب والمشاركة عند السامع، قد خلص به إلى التقرير والاعتراف بأنه المعبود الواحد جل وعلا.
- التعبير بجملة القصر يحدد المعنى تحديدًا كاملًا؛ لذلك فهمه السامع ووعاه من أول وهلة.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم جل من أنزله.

١- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية للدكتور/صباح عبيد دراز، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ط١، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن النيسابوري، تح/عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط٢، دار الإصلاح، الدمام، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٣- الأسلوب لأحمد الشايب، ط١٢، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٣م.

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تح/محمد عبد الرحمن، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.

٥- الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن المشهور بخطيب دمشق، تح/محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت.

٦- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

٧- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد الأندلسي، تح/صدقي محمد جميل، ط، دار الفكر، بيروت،١٤٢٠هـ.

٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيزلمجد الدين أبو طاهرالفيروزآبادى، تح/محمد علي النجار، ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٩- البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية للدكتور/ فضل حسن عباس، ط٢، دار الفرقان، ١٤٢٠هـ.

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي، ت/مجموعة من المحققين، ط، دار الهداية.

١١- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، ط، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

١٢- تحقيق الفوائد الغياثية لمحمد بن يوسف الكرماني، تحقيق ودراسة/ علي بن دخيل الله العوفي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.

١٣- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تح/ أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ .

١٤- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تح/محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ

١٥- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد بن محمد أبو منصور الماتريدي، تح/د. مجدي باسلوم، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

١٦- تلبيس إبليس لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٧- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري، تح/أحمد محمد شاكر، ط، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

١٨- الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبي" لأبي عبد الله محمد القرطبي، تح/أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

١٩- دلائل الإعجاز في علم المعاني لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني، تح/د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، وتح/محمود شاكر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٢٠- ديوان العباس بن الأحنف، تح/ عاتكة الخزرجي، ط١، دار الكتب المصرية، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

٢١- الرسالة لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تح/أحمد شاكر، ط، مكتبه الحلبي، مصر.

٢٢- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج الجوزي، تح/عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ .

٢٣- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، تح/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٤- شرح العقيدة السفارينية "الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية" لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٢٥- شرح العقيدة الطحاوية لصدر الدين محمد بن علاء الدين الأذرعي، تح/جماعة من العلماء، تخريج/ ناصر الدين الألباني، ط١، دار السلام للطباعة والنشر مصر، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٢٦- صحيح الإمام مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تح/محمد فؤاد عبد الباقي، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تح/ محمد زهير، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢٨- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلويّ، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ .

٢٩- علوم البلاغة " البيان، المعاني، البديع" لأحمد بن مصطفى المراغي، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

٣٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد بدر الدين العينى، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣١- القصر وتجلياته في البلاغة القرآنية لمصطفى رجب الخمري، مجلة كلية التربية، الجامعة الأسمرية، ليبيا، عام ٢٠١٧م.

٣٢- كتاب التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، تحيق وضبط/جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣٣- كتاب الصناعتين لأبي هلال الحسن العسكري، تح/علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، ط٣،دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣٥- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، ط٣، دار صادر، بيروت (١٤١٤هـ).

٣٦- لطائف الإشارات " تفسير القشيري " لعبد الكريم بن هوازن القشيري، تح/إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

٣٧- لمعة الاعتقاد لأبي محمد موفق الدين، الشهير بابن قدامة المقدسي، ط٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٣٨- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية لشمس الدين أبو العون السفاريني الحنبلي، ط٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق،١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٣٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تح/عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ .

٤٠- مذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ .

٤١- معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح/عبدالرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤٢- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، تح/عبد الجليل عبده شلبي، ط١،عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٣- معاني النحو للدكتور/ فاضل صالح السامرائي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤٤- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته للدكتور/ أحمد مختار عبدالحميد عمر، ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

٤٥- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

٤٦- مفاتيح الغيب "التفسير الكبير" لأبي عبد الله محمد الملقب بفخر الدين الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤٧- المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عونى، ط، المكتبة الأزهرية للتراث.

٤٨- مهيد الأوائل في تلخيص الدلائل لمحمد بن الطيب الباقلاني، تح/عماد الدين أحمد حيدر، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسورلإبراهيم بن عمر البقاعي، ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

٥٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين البرمكي الإربلي، تح/إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧٤٥
التمهيد، وقد جاء على محورين:	٧٥٠
المحور الأول: بيان معاني مفردات العنوان.	٧٥٠
المحور الثاني: دور البلاغة العربية في ترسيخ العقيدة الدينية من خلال أدواتها وفنونها.	٧٥٧
المبحث الأول: أثر أسلوب القصر في تنبيه المخاطب على الخطأ وقلب الاعتقاد.	٧٦١
المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر في إثارة انتباه المخاطب.	٧٩٣
المبحث الثالث: أثر أسلوب القصر في تصحيح وتثبيت عقيدة المخاطب.	٨١٦
الخاتمة	٨٢٦
المصادر والمراجع	٨٢٨
فهرس الموضوعات	٨٣٤